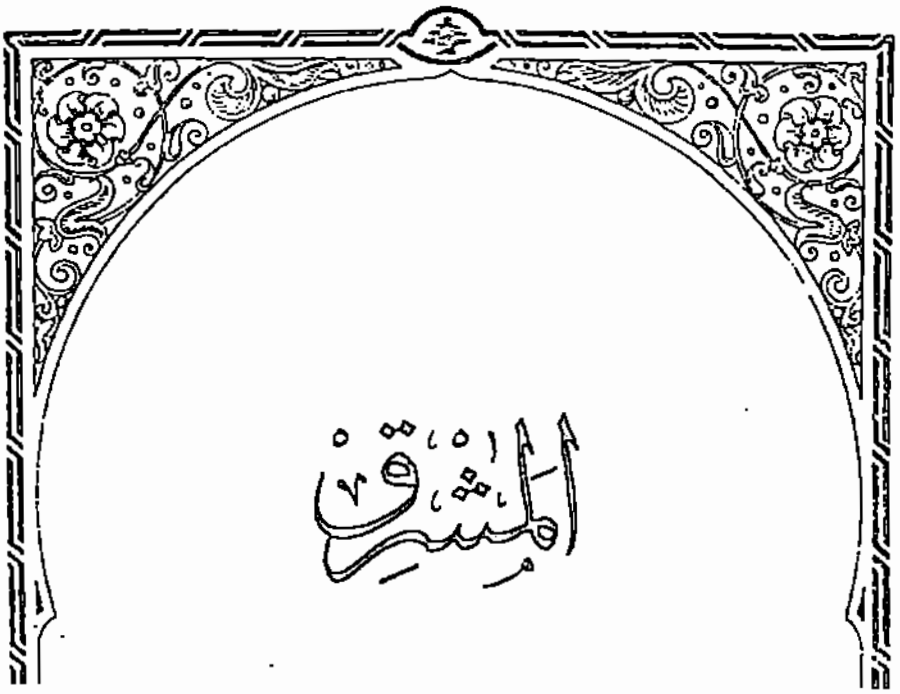

السنة السابعة والاربعون ت ٣ – ك ١ ١٩٥٣

الروم الملكيون في الاسلام

مقتل البطريرك الانطاكي الملكي الشهيد خريستوفوروس

سنة ٣٥٦ للهجرة – ٩٦٧ للميلاد

حسدًا له لمكانته لدى الامير سيف الدولة علي بن حمدان

ويليه

قسم من اخبار جثالقة الروم الملكيين في العراق وبلاد فارس

نشرهما لاول مرة حبيب زيات عن نسخة بيعية من القرن العاشر

هذا اهم ما اخترناه من فوائد هذا الخبر الفريد الحافل باخبار النصرانية في في القرن العاشر . ولم يفتنا منه – على نقص فيه كما سبق من تنبيه الناسخ له الشماس بولس الزعيم – اقل لفظ يُستَشفّ منه حال من احوال النصرانية واوصاف البطريرك الانطاكي الملكي في ولاية سيف الدولة امير حلب . ولا

نعلم هل النسخة التي ورد رقمها في جريدة مخطوطات دير طور سينا هي محفوظة في اللغة الرومية التي كتبها اولاً ابرهيم بن يوحنا الابرطسبيتار ام في اللغة العربية التي املاها ثانية . ولعل التوفيق يخبأ لنا حظ الوقوف على النصين معاً اذا قدّر لنا ان نظفر بهما يوماً . ولا يخفى على من قرأ الملخص الذي سردناه سابقاً مكانة هذا الاثر الجليل وعظم خطره وشأنه وما له من الاهمية القصوى في التأريخ والاحتجاج . وهو من قلم شاهد عياني ولذلك عوّل عليه المؤرخ الثقة سعيد بن يحيى الانطاكي في حكايته مقتل خريسطوفورس وشرحه الحوادث النصرانية والوقائع الاسلامية في القرن العاشر . وقد اقتصر على نقل الفاظه وعباراته بالحرف الواحد. ولم يقع لنا اثر آخر نظيره يدانيه في الصدق والامانة. ولذلك يجب ان يُحلّ في مقدمة المُرى الوثقى التي يُناط بها تاريخ قسم من ماضي الكرسي الانطاكي في الاسلام . ومنه اقتبس الاخباريون كل ما رووه واوجزوه من سيرة الشهيد في مجاميعهم المعروفة بالسنكسارات كالمجموع الذي وقفنا عليه قديماً في مكتبة دير الشير للزعبان الحلبيين وبين اخباره الستة عشر « الثاني خبر القديس الشاهد خريسطوفورس المعظّم ووصف سيرته وجهاده »[1] ونظيره السنكسار العربي المحفوظ في خزانة باريس (رقم ٢٥٤ ص٢١٥) ولكنه خالف الاصل حيث زعم ان مقتل خريسطوفورس كان في اليوم الحادي والعشرين من ايار بدلاً من الثالث والعشرين من الشهر (سنة ٣٥٦/٩٦٧).

وقد احاط كاتب السيرة بكل ما بلغه وعرفه عن احوال الشهيد ومثّل حياته في اهم اطوارها . ولم يفته الا ذكر سنة ميلاده في بغداد وانتدابه وهو كاتب في شيزر لتولي الكرسي الانطاكي . ولعله جهل يوم ولادته كما جهل كل اخبار والديه من قبله . وفاته ايضاً تعيين اليوم الذي احتُفل فيه بالصلاة عليه . وفي ذيل يحيى بن سعيد انه تقلد البطريركية في السنة الرابعة عشرة من خلافة المطيع لله العباسي (٣٣٤ للهجرة + ١٤ = ٣٤٧ = ٩٥٨م).

ويحق للقارئ اليوم ان يعجب من اختيار كاتب علماني لخلافة الرئاسة البطريركية . على ان عيسى البغدادي ليس اول طارئ ارتقى كما يقال من

١) كتاب قصص وسير واخبار بعض الرسل والشهداء والقديسات والابرار تعريب البطريرك مكاريوس الحلبي .

الرفش الى العرش اذا صح هنا هذا التمثيل . وقد نقدم له اشباه ونظراء . وكانوا اكثر ما يختارون من الكتاب والاطباء وقليلاً جداً من التجار والصناع .

وأغرب من تلقّب البطريركية من التجار الصناع قزما بطريرك الاسكندرية سنة ٧٣٠[1] في خلافة هشام بن عبد الملك الاموي . قال سعيد بن بطريق احد خلفائه : « لما صار بطريركاً كان اميّاً لا يقرأ ولا يكتب . وكانت صناعته عمل الإبَر » وورد مثل ذلك في كتاب « سِيَر البطاركة » (الاقباط) لساويرس بن المقفّع[2] وولاية مثل هذا الابار الأمي في الاسكندرية مدينة العلم يحار منها العقل . ولعلهم اغتفروا له اميّتهُ وصناعتهُ لرضى الخليفة هشام بن عبدالملك به بتوسط بعض كتاب الدولة من الملكيين بدمشق لدالتهم القديمة منذ زمان اسرة منصور والد القديس يوحنا المشهور . « وكان كرسي الاسكندرية بغير بطرك ملكي مدة سبع وتسعين سنة[3] .

ومن الصناع القسوس الذين ارتقوا عرش البطريركية الاورشليمية — وكانوا كثيراً ما يعالجون بعض الحِرَف لإعالة نسائهم واولادهم للسماح الشامل لهم بالزواج مرة واحدة فقط خلافاً للرهبان — قس نجار من ابناء الروم العبيد يسمى نقفور كان يخدم في قصر الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله . فلما مات ثاوفيلس بطريرك بيت المقدس في شهر رمضان سنة ٤١٠ (كانون الثاني ١٠٢٠) توسل نقفور الى الحاكم ان يأذن له ان يصير بطريركاً في مكانه . فصُلّي عليه يوم

---

١) كثر الخلاف في تعيين سنة ولاية هذا البطريرك فقيل انها ٧٤٣ او ٧٤٤
P. J. Pargoire : (*l'Église Byzantine de 527 à 847*. Paris 1905, p. 276).
P. Henri Musset : *Histoire du Christianisme*. Harissa, 1948. I, p. 251
وقيل انها ٧٢٧. وفي خطط المقريزي ان الذي اقام قيما (قزما) هو لاون ملك الروم سنة سبع ومائة (٧٢٥ م) (طبعة بولاق ٢ : ٤٩٣) ولكن سعيد بن بطريق ذكر انه « في سبع سنين من خلافة هشام صُيّر قزما بطريركاً على الاسكندرية (نظم الجوهر ٢ : ٤٥) واعاد ذلك مرة ثانية في آخر الصفحة نفسها . وكانت خلافة هشام سنة ١٠٥ (٧ + ١١٢ = ٧٣٠ م)

٢) طبعة سيولد . بيروت المطبعة الكاثوليكية سنة ١٩٠٤ ص ١٦٧

٣) نظم الجوهر ٢ : ٤٥–٤٦

الاحد العاشر من تموز سنة ١٠٢٠/٤١١[1] ولا شك ان نقفور لم ينل رضى الحاكم الا بشفاعة والدة الحاكم وكانت رومية ملكية . او بشفاعة اخته ست الملك وكانت كل حياتها تعضد النصارى وتسعفهم بنفوذها الملكي .

وفي سنة ٩٦٥ ثار المسلمون في بيت المقدس واحرقوا الكنائس وقتلوا البطريرك الاورشليمي يوحنا بن جميع « فصُيّر بعده بطريركاً تاجر[2] من اهل قيسارية يسمى حبيب ويُكنّى ابا سهل وسمّوه انبا خريسطودولس »[3] .

وفي السنة الثالثة من خلافة المكتفي بالله العباسي (٢٨٩ ÷ ٣ — ٢٩٢ = ٩٠٥) « صُيّر ايليا (ابن منصور) بطريركاً على انطاكية وكان كاتباً »[4] وكان سلفه سمعان بن زرناق حياً في هذه السنة وناب عنه من حضر مجمع القسطنطينية للنظر في زواج القيصر لاون السادس[5] .

وبعد وفاة ايليا بطريرك انطاكية سنة ٩٢٩ في الخامس والعشرين من حزيران « صُيّر بعده انبا تودوسيوس وهو استفان الكاتب الذي كان في بغداد مع مؤنس الخادم بطريركاً على انطاكية الشام في شهر رمضان سنة ثلاث وعشرين

---

١) كتاب الذيل ليحيى بن سعيد الانطاكي ٢٢٨. وقد فات الاب هنري موسّه ذكر هذا البطريرك بين بطاركة اورشليم في تاريخه : *Histoire du Christianisme spécialement en Orient*. وقد ينقل كثيراً عن كوروليفسكي : *Dictionnaire d'Histoire et de Géographie ecclésiastiques* ويخطئ كلاهما احياناً في سياقة اسماء وتواريخ البطاركة الشرقيين .

٢) جاء في كتاب الذيل ليحيى بن سعيد الذي استند الاب شيخو بطبعه في بيروت انه بعد وفاة البطريرك يوحنا بن جميع « صُيّر بعده بطريرك آخر » بدلاً من « تاجر » . وهذا التحريف مثل من الامثال التي لم يتنبه الاب شيخو بتسديدها في طبعته باسمه واسم البارون كارا دي فوّ وباسمنا .

٣) كتاب الذيل ليحيى ١٢٥

٤) نظم الجوهر ٢ : ٧٤

٥) روى الاب موسّه في تاريخه المذكور آنفاً ان ايليا قام سنة ٩٠٧ ومات سنة ٩٢٤ وقد وهم في كلا التاريخين لان سعيد بن بطريق نص على ان ايليا صُيّر بطريركاً في السنة الثالثة من خلافة المكتفي (٢٨٩ ÷ ٣ — ٢٩٢ = ٩٠٥) وتوفي في ١٣ جمادى الآخرة ٣١٧ (٢٥ تموز ٩٢٩) بعد ان اقام على الكرسي ٢٨ سنة (نظم الجوهر ٢ : ٧٤ و٨٥)

وثلاثة »[1] (آب ٩٣٥) « وتوفي وله في الرئاسة سبع سنين»[2] اي سنة ٩٤٢ .

ومن الاطباء الذين ارتقوا الكرسي الاسكندري بليطيان. قال سعيد بن بطريق « وفي اربع سنين من خلافة جعفر المنصور صيّر بليطيان بطريركاً على الاسكندرية وكان طبيباً اقام ستاً واربعين سنة ومات »[3] وكانت خلافة المنصور في ذي الحجة سنة ١٣٦ (ايار ٧٥٤) فيكون قيام بليطيان سنة ٧٥٨ ووفاته سنة ١٨٢/٧٩٨ .

وأشهر من تولى البطريركية الاسكندرية من الاطباء سعيد بن بطريق المعروف بابن الفرّاش صاحب التاريخ وذلك في اليوم الثامن من صفر سنة ٣٤١ (= ٧ شباط ٩٥٣) بعد وفاة البطريرك خريستودولا سنة ٣٢٠/٩٣٢[4] . وله في الرئاسة سبع سنين وستة اشهر اي في ايار سنة ٩٤٠[5] .

وفي السنة الخامسة من خلافة العزيز بالله الفاطمي (ربيع الثاني ٣٦٥ = كـ٢ ٩٧٦) اي ٩٨١/٣٧١ « صُيّر يوسف الطبيب بطريركاً على بيت المقدس اقام في الرئاسة ثلاث سنين وثمانية اشهر ومات بمصر »(سنة ٣٧٤/٩٨٥) ودفن في كنيسة مار توادرس مع ابنا خريسطودولا القيسراني »[6] .

ومثل هذا التفضيل لرجال الدنيا على رجال الدين لكفاية اجلّ المناصب الكنسية انما كان يجري في ديار السلام اي في المدن الخاضعة للخلافتين العباسية والفاطمية. وكان الخلفاء والملوك والامراء فيها يؤثرون اختيار الكتاب والاطباء.

---

١) نظم الجوهر ٢ : ٨٥ و٨٧

٢) ذيل يحيى بن سعيد ٩٩

٣) نظم الجوهر ٢ : ٤٩ وقد فات الاب هنري مؤسّه ذكر البطريركين ثاودوسيوس الاسكاري وبليطيان الاسكندري في تاريخه واغفلتهما ايضاً المعجمات التاريخية الفرنسية التي استمد منها كثيراً من اخباره .

٤) نظم الجوهر ٢ : ٨٨ وذيل يحيى ٩١

٥) عيون الانباء لابن ابي اصيبعة ٢ : ٨٦.

٦) عيون الانباء في طبقات الاطباء لابن ابي أصيبعة ٢ : ٨٦ وفيه ان هذا الخبر وارد في تاريخ الديل ليحيى . وقد خلا منه المطبوع وهو ما يدل على نقصه كما خلا من ذكره تاريخ الاب هنري مؤسه وسائر المعجمات الاوربية التي تكلمت على البطاركة الشرقيين وخصوصاً التواريخ الرومية القديمة والحديثة كتواريخ بابادوبولس كريسطوم وبابادوبولس كراموس التي راجعها الاب مؤسه لكتابة تاريخه الشرقي .

البلديين لأهم الولايات النصرانية لثقتهم بطاعتهم وامانتهم ولكراهتهم للروم وحذرهم منهم حتى كانوا يعدونهم دائماً كما يقولون « حرباً لهم » بخلاف ديار الحرب كانطاكية حيثما كانت تعود الى ملك القياصرة مدة بعد اخرى . فان السلطة البطريركية فيها كانت لا تُسند قط الا للرهبان البيزنطيين الذين يقع عليهم اختيار القسطنطينية لغرض سياسي او لخدمة سبقت لهم . وقلّ جداً ان يقلدوها احد الاساقفة الشاميين كاغابيوس مطران حلب حين كافأه الملك باسيل بالبطركية لاستمالته لهُ عبيدالله الماجسطرس الذي كان عاصياً عليه في انطاكية[1] .

ويستدل من شهادة كاتب السيرة ان اختيار البطاركة في الاسلام في الكراسي الثلاثة كان راجعاً الى جماعة الشعب لا للاساقفة كما هي الحال اليوم . ولعل اهم اسباب هذا الزهد فيهم سوء اعتقاد القوم في نزاهتهم وتفورهم مما كانوا يعرفون به من الطمع والحرص على الانتفاع والاهتمام بصلاح احوالهم الخاصة كما نبّه على ذلك كاتب الخبر شاهدهم الميافي ابرهيم بن يوحنا الانطاكي. وفي سماع هذه الشهادة منه ألم للنفس وداع للحسرات .

ومن الفوائد التاريخية التي تُجتنى من هذا الخبر ذكرُ البطريرك اغابيوس بن القمّيرون سلف خريسطوفورس . ولم نجده في سند آخر وهو اغابيوس الاول[2] فيما نعلم اليوم وقد خلا الخبر من سنة وفاته ولعلها لم تسبق كثيراً ولاية خريسطوفورس سنة ٩٥٨ . وحكى بعد ذلك انفاذ الملك يوحنا بن الششقيق راهباً من مدينة قلونية يدعى ثاودورس ليتقلد البطريركية وكان قبلاً رئيس دير كير انطوني في الارمياكس[3] « وصُيّر بطريركاً على انطاكية يوم الاحد ٢٣ من كانون الثاني سنة ١٢٨١ للاسكندر وهو لاثني عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر سنة تسع وخمسين وثلثمائة »[4] (= ٢٣ من شباط ٩٧٠).

١) كتاب الذيل ليحيى بن سعيد ١٤٩

٢) ذكر الاب هنري ليمنس ان اغابيوس اسقف حلب الذي ولاه الملك باسيل البطركية الانطاكية سنة ٩٧٧ هو اغابيوس الاول ووهم في ذلك لعدم معرفته اغابيوس بن القمّيرون .

٣) التيبكون الصغير ليكون الثاني تلو الشماس بطرس الزعيم في خطوطه السالف الذكر ، ويريد بالارمياكس بلد الارمياق الذي ذكره المسعودي في كتابه التنبيه والاشراف (ص١٧٦) قال ارض الروم اعمال مفردة تسمى البنود كما يقال اجناد الشام كجند فلسطين . . .

٤) ذيل يحيى بن سعيد ١٣٨

ومن خلفاء ثاودورس الذين اشار اليهم الحبر البطريرك نقولاوس كان رئيس دير الاصطوديون في القسطنطينية « صُلّي عليه في القسطنطينية يوم الاحد سابع عشر كانون الآخر سنة الف وثلثمائة وست وثلاثين (للاسكندر) وهي لاربع عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة خمس عشرة واربعمائة »[1] (=١٤ شباط سنة ١٠٢٥) وهو الذي نقل جثة خريسطوفورس الى بيت علء بطرس في انطاكية.

وليس في السيرة اشارة الى احد اساقفة الكرسي الانطاكي في الربع الاخير من القرن العاشر سوى اسقف سلوقية ثاودوس وهو الذي عذل خريسطوفورس لابتعاده عن انطاكية ايام العصيان على سيف الدولة ومقامه في دير مار سمعان الحلبي.

وفي ختام السيرة تعداد بعض خرّيجي البطريرك الشهيد. يظهر انهم صحبوه وتتلمذوا له. وبينهم احد الحبساء وبعض رؤساء الاديار كدير مار سمعان الحلبي. وسمعان البحري. ودير سابا. ودير السيدة في جبل اللكام. وغيرها من الديارات المشهورة في زمانه. وقد يتفق ذكرها يوماً في التاريخ فتكون اسماؤها الواردة في السيرة عوناً للمؤرخ لسدّ فراغ بعض حلقاتها الضائعة.

واهم ما انفردت به السيرة اخبار بعض الجثالقة الملكيين في العراق وبلاد فارس. وفيها ذكر ثلاثة منهم. ولما لم يسبق لاحد كلام في هذا المعنى[2] رأينا ان نجمع هنا ما تفرق من هذه الاخبار على ندرتها وعزة منالها لتكون مرآة تتجلى فيها احوال الكنيسة الملكية ويتضح تعدد فروعها وانتشار اشياعها الى خراسان واقصى آفاق المشرق.

جثالقة الكرسي الانطاكي الملكي وانتشار الروم في خراسان والشرق

قال محمد الخوارزمي الكاتب في تعريفه لقب الجاثليق وهو يعني جثالقة الملكيين الانطاكيين الذين عرفهم اهل خراسان:

١) ذيل يحيى بن سعيد ٢٤٤

٢) ظهر في مجلة *Proche-Orient Chrétien*, tome II, fasc. 1-1952, pp. 39-46. مقالة في « جثالقة روما جيريس » واهمها مستمد من السيرة التي نشرنا نصّ الاصل القديم فيها. ومن مقالتنا جثالقة الملكيين في العراق وخراسان » التي كانت لدى المجلة الفرنسية المذكورة وكان في النية نشرها اولاً.

« القاتوليق (Καθολικός = الكاثوليك) هو الجاثليق يكون تحت يد البطريق (البطريك) ومقام الجاثليق في حضرة الامام ببلد العراق مدينة السلام . فيكون تحت يد بطريق انطاكية . ثم المطران تحت يد الجاثليق . ويكون مقام المطران في خراسان بمرو »[1] .

وتقدمه في هذا الشرح ابو الريحان البيروني فقال في تعداده المراتب الدينية النصرانية بالفاظها الآرامية :

« السابعة مطرابوليطا وهو من تحت يد الجاثليق . ومقام مطران خراسان للملكانية بمرو . والثامنة قاثوليقا وهو الجاثليق ومقام جاثليق الملكانية من بلاد الاسلام بمدينة السلام . وهو من تحت يد بطريق انطاكية »[2] .

وكان البيروني وقتئذ يجهل قيام جاثليق للملكيين في الشاش في عصره في ما عدا مطران خراسان بمرو . وفي مدينة مرو هذه كان مقام الجاثليق قديماً حيناً من الدهر . وكانت زمناً طويلاً دارًا لولاة خراسان . وفيها لبث المأمون تسع سنين قبل ان يلي الخلافة »[3] . ويؤخذ من التقاليد المسيحية انها كانت في القرون الاولى حافلة بالنصارى . وان بَرْ شبأ مطرانها اقام فيها عدة بِيَع . ومنها تفرق تلامذته في سائر مدن خراسان وبنوا الكنائس وعمدوا الناس . وفي تاريخ النساطرة التي وردت فيها هذه الرواية « ان اهل مرو اصلهم يونان كانوا مع الاسكندر وقت بنائها ولم يرجعوا معه . فآمنوا وكسروا الاصنام التي كانوا يعبدونها »[4] .

وفي زعم ابن الفقيه في كتابه « مختصر البلدان » ان مرو الروز لم يكن بها بناء . فبعث اليها كسرى ناساً من اهل السواد فبنوها وسكنوها . قال : « ولما غلب اردشير على ملك النبط فرأى جمالهم وعقولهم قال ما اخوفني ان يحدث بي حدث ان يعود الملك الى هؤلاء . ففرض لهم فرضاً وبعث منهم

---

١) مفاتيح العلوم طبعة ليدن ١٨٩٥ ص ١٣٩ — ١٤٠ ويُراد بالجاثليق عند النساطرة المشارقة « فطرك المشرق » (كتاب المجدل لعمرو بن متى رومة ١٨٩٦ ص ٢) .

٢) الآثار الباقية من القرون الخالية ٢٨٩

٣) تاريخ ملوك الارض لحمزة الاصبهاني طبعة كلكتة ١٩٨ .

٤) Patr. Orient. t. IV. *Histoire Nestorienne*, pp. 221-222

بعوثاً واغزاهم خراسان . فأهل مرو من النبط . وفرقتهم في البلاد »[1] .

وهذه الرواية اذا صحّت لا تنفي وجود اليونان في مرو من القِدم منذ زمان الاسكندر وقبل كسرى .

ومما لا شك فيه ان الروم كانوا في العراق وبلاد فارس وخراسان مدة طويلة قبل افتراق النصارى الى فرقهم الثلاث . انتقلوا اليها اما طوعاً للتجارة واما كرهاً بعد الافتراق لسبي ملوك الفرس الساسانية لهم في انتصاراتهم على ملوك القسطنطينية . واكثر ما كان يقع السباء على اهل انطاكية خصوصاً . وقد روى غير واحد من المؤرخين ان سابور بن اردشير لما ظفر بالقيصر فاليانس (سنة ٢٥٣) انصرف ومعه السبي الكثير من الروم فأسكنهم بلدان العراق والاهواز وفارس وبنى لهم بعض المدن[2] . وفي تاريخ النساطرة ان النصارى كثروا لهذا السبب في بلد الفرس وبنيت الديارات والبِيَع « وكان فيهم كهنة سُبُوا من انطاكية فسكنوا جنديسابور واختاروا زادوق الانطاكي فجعلوه اسقفاً عليهم لان ديتريوس فطرك انطاكية اعتلّ ومات من الغم ... وتفرق النصارى في سائر البلدن وكثروا بالشرق . وبُني بايرانشهر التي هي كرسي مطارنة فارس بيعتان وسُميت واحدة بيعة الروم والاخرى كرمانون . وكان يُصلّى فيها باليونانية والسريانية . وعوّض الله الروم عما لحقهم من السبي والعبودية بما صاروا اليه من حسن الحال . وعظم امرهم في بلادهم اي بلاد الفرس وحصلوا باكثر مما كانوا فيه من طيب العيش في بلادهم »[3] .

وأشار الى مثل ذلك مؤرخ النصرانية المشهور دوشين (Mgr Duchesne) فقال بعد ان ذكر موت فاليانس في الاسر وقيام ولده غاليان في رومة :

« واستطال الفرس على سورية وآسية الوسطى وفاجأوا انطاكية فسقطت في ايديهم فنهبوها واحرقوها واقتادوا القسم الاعظم من اهلها اسرى واسكنوهم الاهواز وفعلوا مثلَ ذلك بطرسوس وقيسارية الكبادوك »[4] .

---

١) مختصر البلدان طبعة ليدن ٣١٩

٢) الكامل لابن الاثير ٣ : ١٢٥

٣) Patr. Orient. t. IV. *Histoire Nestorienne*, pp. 255-256.

٤) L. DUCHESNE: *Histoire ancienne de l'Église*, t. I, pp. 468-469.

وقد نبّه المسعودي على ان الروم الذين اجلاهم سابور هم الذين علموا اهل فارس صناعة نسج الخز والحرير والديباج والستور والفرش التي اشتهرت بها مدنهم منذ ذلك . والأولى ان ننقل ههنا كلامه لما فيه من زيادة انتشار الروم في بلاد فارس . قال :

« وغزا سابور بعد ذلك بلاد الجزيرة وآمد وغيرها من بلاد الروم ونقل خلقاً من اهلها واسكنهم بلاد السوس وتُستر وغيرها من مدن كُور الاهواز . فتناسلوا وقطنوا تلك الديار . فمن ذلك الوقت صار الديباج التستري وغيره من انواع الحرير يعمل بتستر. والخز بالسوس . والستور والفرش ببلاد نصيبين. ومكث الى هذه الغاية »[1] .

وفي زمن كسرى انو شروان أُصيبت انطاكية مرة ثانية بمثل هذا البلاء والجلاء . فافتتحها وافتتح مدينة سلوقية في ساحلها « وسبى اهل مدينة انطاكية ونقلهم الى ارض السواد وامر فبُنيت لهم مدينة في جانب مدينة طيسفون على بناء مدينة انطاكية واسكنهم اياها . وهي التي تسمى «الرومية». واجرى على السبي الذين نقلهم اليها من انطاكية الارزاق وولّى القيام بأمرهم رجلاً من نصارى الاهواز ليستأنسوا به لموافقته في الدين»[2] . ولما توفي انو شروان « اجتمع الروم الذين سباهم من انطاكية واسكنهم المدينة المبنية لهم فأكرموا جسده على عادة النصارى ومشوا حوله بالفيارم (المباخر) والشمع الى حيث دفن»[3] .

ولم يقف حب التغرب للاتجار والارتزاق بالروم الملكيين عند حدود خراسان بل تجاوزوها الى ما وراء النهر في جوار ديار الترك قديماً وقطنوا مدينة الشاش وهي المعروفة باسم طاشكند (Tashkent) في جملة مدن روسية . ويؤخذ من كلام ياقوت الحموي في كلامه على جزيرة سُقطرى في بحر الهند « ان قوماً من بلد الروم طرحتهم بها كسرى . ثم نزلت بها قبائل من مَهْرة وتنصر معهم بعضهم » وذكر ان عدد مقاتلة هؤلاء القبائل العربية المتنصّرة كان نحو عشرة آلاف . وحكى قبلاً قول من زعم ان الاسكندر هو الذي سيّر هؤلاء اليونانيين

(١) مروج الذهب على هامش الكامل لابن الاثير ٢ : ١٢٩

(٢) الكامل لابن الاثير ١ : ١٥٤

(٣) Patr. Orient. t. VII. *Histoire Nestorienne*, p. 197.

في بحر القلزم الى سقطرى . فلما حصلوا بها غلبوا على من كان بها من الهند وملكوا الجزيرة بأسرها « فلما مات الاسكندر وظهر المسيح بن مريم عليه السلام تنصّر من كان بها من اليونانيين وبقوا على ذلك الى هذا الوقت»[1] .

ومهما صح احد القولين فهو يدل على شدة انتشار الروم في آفاق الشرق وتطوحهم في الاسفار واستقرارهم حتى في الهند . ولعلهم بلغوا ايضاً الصين طلباً للتجارة في جملة من بلغها واستوطنها من النصارى النساطرة .

الروم الملكيون في العراق

كان اهم مقام الملكيين في العراق في اكتسيفون (طيسفون المدائن) وفي البنية التي بناها انو شروان لسبايا انطاكية والشام وحاكى بها المدن الشامية ودعاها « الرومية»[2] . وفيما لا ريب كان مقام الجاثليق . « ولما عزم المنصور الخليفة العباسي على بناء بغداد امر بنقض المدائن ونقل النقض الى بغداد »[3] وابعد النصارى الروم الى مدينة الشاش كما تقدم من كلام ابرهيم بن يوحنا الكاتب الملكي الانطاكي . فنقلوا مع مطرانهم الى بلاد خراسان حيث انشأوا لهم محلة دعوها «روميرد». ولعل اهم اسباب هذا الابعاد كان انتسابهم الى ملة الروم البيزنطيين اعداء العرب على الدوام . ولكنهم ما عتموا ان احتاروا حاضرة الخلافة العباسية بفضل من اجتمع منهم من التجار واسرى الحروب والخدم والوصائف . وكان الفراشون منهم والغلمان والجواري لا يخلو منهم بيت امير او غني فضلاً عن قصور الخلفاء والملوك والقوّاد . ولما دخل المأمون مصر سنة ٨٣٢/٢١٧ كان معه منهم جمع حافل لاصلاح خيامه وتعهده في تعبوده وقيامه فلم يرَ بدّاً من ان يأذن لهم ببناء كنيسة في القنطرة يصلون فيها عُرفت بكنيسة مارت مريم او كنيسة الروم . وكانت قبلاً تعرف بكنيسة الفراشين[4] . وكان لهم في بغداد قطيعة تعرف بدار الرومين تشرع على نهر

١) معجم البلدان ٣ : ١٠٢

٢) ذكر المسعودي ان هذه المدينة كانت خراباً ولما سور قاسم من طين في وقته (٣٥٦/٩٥٦) (مروج الذهب بهامش الكامل ٢ : ١٣٩) .

٣) تاريخ مختصر الدول لابن العبري ٢١١

٤) نظم الجوهر لسعيد بن بطريق ٢ : ٥٨

كخايا[1]. وهو ما يدل على وفرة عددهم .

وكانوا مع تخصصهم بالخدمة لا يخلون من ادب وعلم واتقان فن . فقد نقل حمزة بن الحسن الاصفهاني اخبار ملوك الروم عن احدهم وقال : « هذه التواريخ اخذتها عن رجل رومي كان فراشاً لاحمد بن عبدالعزيز بن دُلَف فوقع عليه السباء وهو رجل كبير يقرأ ويكتب بالرومية . وكان لا ينبعث في النطق بالعربية الا بجهد . وكان له ابن من جند السلطان منجم فيهم يقال له يمن . فترجم لي عن لسان ابيه إملاء من كتاب له رومي الخط هذه التواريخ »[2] .

وروى صاحب الاغاني عن اسحاق بن ابرهيم الطاهري قال : « حدثتني مخارق قالت كان لمولاي الذي علمني الغناء فراش رومي وكان يغني بالرومية صوتاً مليح اللحن فقال لي مولاي : يا مخارق خذي هذا اللحن الرومي فانقليه الى شعر من اصواتك العربية »[3]

وكان من النساء الروميات فراشات ايضاً . ذكر الطبري انه كان لمنصور ولد يدعى صالح المسكين امه ام ولد رومية يقال لها قالي الفراشة[4] ولكنهن كنَّ اقل بكثير من الفراشين لعدم الحاجة اليهن في كل منزل .

واما الاماء وامهات الاولاد والسبايا والجواري والوصائف الروميات فلا سبيل الى احصائهن او تقديرهن لتعددهن في كل قصر وكل دار . ولعلهنَّ كنَّ لا ينقصن عن الحرائر الكثرة من كنَّ يُستجلَبن منهن وطمع التجار في الربح الطائل من الدلالة على الجواري البديعات الحسن الغريبات الجمال . وكانت اثمان بعضهن ترخص عقب بعض الغزوات والحروب . ومهما تباينَّ في حسن الخلق فقد كانت الرغبة فيهن على كل حال شديدة لاعتبارهنَّ « عبيد طاعة واولاد موافقة وخدمة ومناصحة وامانة . يصلحن للخزن لضبطهن وقلة سماحتهن ولا يخلو ان يكون بأكفهنَّ صنعة دقيقة »[5] . ومما كان يزيد في قيمتهن وفضلهن

١) كتاب البلدان لليعقوبي ٢٤٤

٢) كتاب تاريخ ملوك الارض ٦٠-٦١

٣) الاغاني طبعة بولاق ٥ : ٥٧

٤) تاريخ الرسل والملوك Tertia series ١ : ٤٤٢

٥) تحفة الاصحاب في معاشرة الاحباب للسؤال يحيى بن عباس المغربي رقم ٣٠٣٩ باريس ٣١١-٣١٤

اتصافهن غالباً بالفهم والعلم حتى كان بعض الائمة من المجتهدين والعلماء يتطلبونهن خاصة لمساعدتهم في الدرس والقراءة والكتابة. وممن عُرف باختياره لهن الامام ابو عبدالله محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني من قرية حرستا في ضاحية دمشق « كان لا ينام الليل ويضع حوله كراريس.. وبين يديه عشر جوار روميات عالمات بالكتابة والعربية يقرأن عليه العلم »[1]. وهذه المزية من اغرب ما انفردن به من الفضائل. ولذلك كان «اهل الشام اشهى النساء عندهم الروميات وبنات الروميات » كما نبّه على ذلك الجاحظ[2].

ومن فضائل هؤلاء الجواري وامّهات الاولاد صدق اهتمامهن بالعلم وحرصهن على تأديب اولادهن بآداب اليونان. وروى ابن أصيبعة انه كان للرشيد «جارية رومية يقال لها خرشي وكانت ذات قدر عنده محلها منه محل الخوازن. وكانت لها اخت او بنت اخت... زوّجتها من قرابة لها وولدت الجارية عند مخرج الرشيد الى طوس ... فتبنّت خرشي ذلك الغلام وادبته باداب الروم وقراءة كتبهم فتعلم اللسان اليوناني علماً كانت له فيه رئاسة. وهو اسحق المعروف بابن الحصي »[3].

وقد تقدم من قول مخارق انها تعلمت الغناء من فراش رومي. ولا ندري مقدار من كان بين الجواري من البيان المجيدات للغناء الرومي وقل جدًا من نبّه عليهن. ولم يمرّ بنا في كل مطالعاتنا الا قول عبد العزيز بن خضر الواسطي المعروف بسيدوك :

شربنا في شعانين النصارى على ورد كأردية العروس
تنبّهنا بنات الروم فيه بألحان الرهابن والقسوس[4]

وكان المأمون يعجبه النظر الى جواريه الروميات في عيد الشعانين وقد تزيّنّ بالديباج الرومي وعلّقن في اعناقهن صلبان الذهب وفي ايديهن الخوص والزيتون[5] ولا ريب انهن كنّ يسمعنه احياناً « الحان الرهابن والقسوس ».

١) مفتاح السعادة لطاشكبري زاده طبعة حيدر اباد ٢ : ١١٠
٢) فخر السودان على البيضان . طبعة ليدن ١٩٠٣ ثلاث رسائل للجاحظ ٧٩
٣) عيون الانباء لابن ابي أصيبعة ١ : ١٨٥
٤) فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ١ : ٢٥٤
٥) الاغاني ١٩ : ١٣٨-١٣٩

ولا سبيل لنا اليوم ان نعلم ولو بطريق التخمين والتقدير احصاء جيوش الخدم الاناث والاماء التي كانت تطوّق العراق في زمن الرشيد وكان في قصره في بغداد منهن ما ينيف على اربعة آلاف ما بين وصائفه ووصائف زبيدة وعلية اخته . فكم كان من ثم مجموعهن في سائر القصور والدور والمنازل . وكم كانت نسبة الروميات بينهن الى بقية الاعجميات المولّدات . ومن اليقين ان غالبهن كان من اصل بيزنطي لما كنّ يُعرفن بها من الخصال المتزليـة ومزيّتي الملاحة والزجاجة . ولذلك كنّ يُحصَين في الغالب في جملة التُحف والطرائف ويُقدَّمن في طليعة الهدايا والجوائز . ولمـا اراد المنصور ان يكافئ طبيبه جورجيس بن جبرئيل امر ان يُختار له ثلاثاً من الجواري الروميات الحسان ويُحملن اليه . فردهنّ جورجيس على الخادم وقال نحن النصارى لا نتزوج بأكثر من امرأة واحدة[1] . وفي كتب الاخبار والمجاميع الادبية عدة اشارات الى مثل هذه الهدايا الرومية لا حاجة الى استقصائها . ومما يجب ان يُنبّه عليه ان طائفة غير قليلة من هؤلاء الاماء والوصائف الروميات كنّ يأبَين انتحال الاسلام ويحافظن على نصرانيتهن ولو في قصور الخلفاء والملوك . وقـد سبق ذكر جواري المأمون في عيد الثمانين وقد علّقن فوق صدورهن صلبان الذهب واسكن بأيديهن اغصان الزيتون . وقبلهن كذلك كانت جواري المهدي الروميات في القصر . وفي تاريخ الطبري ان المهدي دخل يوماً بعض دوره فاذا جارية له نصرانية واذا جيبها (اي طوق قميصها) واسع وقد انكشف عن ثدييها . واذا صليب من ذهب معلق في ذلك الموضع فاستحسنه فمد يده اليه فأخذه . فولات على الصليب فقال المهدي في ذلك :

يوم نازعتُها الصليب فقالت ريح نفسي اما تخلّي الصليبا[2]

وعلى مثال الفتيات والاماء الروميـات كان الغلمان والخصيان والمماليك البيزنطيون . وانما كانوا يفوقونهنّ عدداً واثراً لكثرة الحاجة اليهم في حراسة الحُرَم وخدمة البيوت والمجالس وحفظ الاسواق والانتظام بين الجنود ومواكبة الوزراء والخلفاء .

١) عيون الانباء ١ : ١٣٤–١٣٥

٢) تاريخ الطبري طبعة اوربة ص ٥٤٣ vol. 1er, série 3e

ولم يتفق لاحد من الكتبة والمؤرخين مرة واحدة احصاء من كان في الخلافة العباسية من اجناس المماليك والغلمان بين روم وصقالبة وزنج وارمن واتراك وفرس وسائر الاعاجم لنعرف مقدار من كان من الروم بينهم وانما كانوا احياناً يُميَّزون بالبياض والسواد كقول الخطيب البغدادي حين وصف استقبال المقتدر بالله لرسول ملك الروم «كان عدد الخدم اذ ذاك سبعة آلاف خادم منهم اربعة آلاف بيض وثلاثة آلاف سود»[1] . وكان المقتفي لامر الله لما استُخلف استُحلف على انه لا يشتري مملوكاً تركياً وكان يقتني مدة خلافته اما ارمنياً او رومياً... واختص من ممالكه الروم والارمن عدة من النجباء سنّاهم الخيلية وولّاهم الرتب العلية»[2] . ومن الوزراء قبله الذين كانوا يقتنون الروم والاتراك صاعد ابو العلاء الكاتب النصراني الاسلمي كتب للموفق وولي الوزارة لاخيه المعتمد «وآخر الامر قبض عليه الموفق واخذ له من الضياع والاملاك ما مُغَلّه الف الف دينار... ومن فحولة الروم والاتراك ثلاثة آلاف مملوك»[3] . ولا ريب ان المماليك الروم كانوا اوفرهم عدداً لكثرة الاسرى منهم في الحروب التي كانت لا تفتر بين المسلمين والبيزنطيين .

وكان الغلمان الروم اكثر ما يُختارون من المِلاح الصباح الوجوه ويُعَدّون لذلك بين التحف والصِلات والهبات التي يُجاد بها على الندماء والمستهيجين والشعراء . ولما أدخل مروان بن ابي حفصة الشاعر الى المهدي اجازه على مديحه بعشرة من خدم الروم وقطيعة بناحية السواد[4] . وكذلك فعل المتوكل على الله حين رضي عن حنين بن اسحاق بعد غضبه عليه . قال حنين «وحملني على خمسة ارؤس من بغلاته الخاصة بتواكيبها ووهب لي ثلاثة خدم روم»[5] .

ولم يكن مثل هذا الإهداء خاصاً بالخلفاء بل كان ايضاً مزية لكل رجال الدولة من الامراء والكبراء . وفي كتاب قطب السرور «ان بديع غلام

١) تاريخ بغداد ١ : ١٠١
٢) زبدة النصرة ونخبة العصرة للعماد الاصفهاني . طبعة ليدن ٢٣٥
٣) الثاني من عيون التواريخ للكتبي . خزانة الفاتيكان ٨٥ ص ١١٥
٤) المحاسن والمساوئ للبيهقي ١ : ١٧٥
٥) عيون الانباء لابن ابي أصيبعة ١ : ١٦٦

اسحق بن ابرهيم الموصلي سار الى ابرهيم بن المهدي وغناه . فبعث ابرهيم الى اسحق ثلاثة ابغل عليها الوان الشراب وثلثة غلمان روم»[1] . وحكى احمد بن طاهر قال قصدت سرّ من رأى رائدًا بعض كبارها بشعر مدحته بـه فقبلني وأجزل صِلَتي ووهب لي غلاماً روميًا[2] . وفي الكتب الادبية والاغاني مئات من هذه الامثلة والهبات الرومية .

وكان الاصحاب والندماء يتراسلون بأمثال هؤلاء الغلمان « انفذ مرة محمد بن الشخير النديم رقعة مع غلام له وضيء الوجه . . ومعه غلمة له اقران وقد جعل الرقعة كالمنشور . . وكتب فيها :

سِرْ على اسم الله يا ... اكمل من غصن لبين
في بدور من بني الرو ... م الى باب الحسين[3]

وأكثر ما كانوا يختارون الغلمان لمجالس الشراب سُقاةً لمناولة الاقداح والكؤوس . وقد وصف كشاجم احدهم فقال :

وأحور من ظباء الروم ساقٍ ... كغصن البان تثنيه الرياح
بديع ملاحة يدعى نجاحاً ... ولكن ما لموعده نجاح
له طُرّة تُصفّ على جبين ... كمثل الليل قابله الصباح
تحلّى بالمشاجب وهو ممن ... يليق به القلائد والوشاح[4]

وربما ترقى بعض هؤلاء الغلمان والمماليك في الخدم والرتب ودفعتهم اطماعهم الى اطراح ديانتهم النصرانية وانتحال الاسلام ليبلغوا مبلغاً اسمى في المناصب السنية . وكانوا لذلك اقل حرصاً على حبّ طقوسهم البيزنطية خلافاً للجواري فانهن كن اكثر تمسكاً بها واوفر جرأة على التظاهر بها حتى في قصور الخلافة كما سبق .

وكان للخصيان بين روم وصقالبة شأن خطير في الاسلام للحاجة اليهم في حراسة الحُرَم وصيانة الاعراض . فلم يكن يخلو منهم بيت غنيّ ولا قصر

---

١) قطب السرور للرقيق الندم خزانة لندرة بريتش موزيوم .Or. 3628 f° 31
٢) مسالك الابصار للعمري ٢٦٣
٣) قطب السرور المتقدم الذكر .
٤) ادب الندم . طبعة بولاق ١٢٩٨ للهجرة .

امير . وربما كانوا من الغلمان الذين حُبسوا على الكنائس . قال البشاري المقدسي «سألت جماعة منهم كيف يُخصَون فتحصل لي ان الروم يَسُلُّون اولادهم ويحرزونهم على الكنائس لئلا يشغلوا بالنساء وتوذيهم الشهوة. وكان المسلمون اذا غزوا اغاروا على كنائسهم واخرجوا الصبيان منها »[1] . ولعل الصقالبة الخصيان كانوا اوفر عددًا منهم لكثرة من كان يتجر بهم من اليهود . وكان في دار المقتدر فيما قيل عشرة آلاف خصي من الصقالبة[2] . فما الظن بمن تفرق منهم في سائر المدن الاسلامية ؟ .

بقي الكلام على اسرى الروم في الحروب التي كانت لا تخمد نيرانها بين العرب والبيزنطيين في الخلافتين الاموية والعباسية . وكان للمسلمين غارات وغزوات متتابعة في كل عام في الشتاء والصيف تعود عليهم بالفتوح والسبايا والغنائم. وكانوا اذا تراخوا وضجعوا فيها في بعض الهُدَن ينشط لها من الخاصة فرسان ومقاتلة يتحينون لها الفرص الملائمة ويرابطون من اجلها في الثغور وربما عاد احدهم ويده ملأى من النهب والسلب وفي قبضته عدة من الرجال والنساء الذين فاجأهم في ديارهم واقتادهم منها مُقرَنين في الاصفاد كما تقاد البهائم . ولذلك كثرت الاسرى البيزنطيون وتفرقت جموعهم في انحاء الشام ومصر والعراق. وقد سكت عنهم لسوء الحظ كل من تكلم على الوقائع والغزوات العربية في الخلافة الاموية . ولا نظن ان احد المؤرخين اشار الى وقوع الفداء عليهم مرة كما نبهوا احيانًا على بعض الافدية التي كانت تحدث من مدة لاخرى في الخلافة العباسية ويُقايض فيها رأسًا برأس اذا لم تتم بالاموال . فلا ندري من ثم ما كان حظ هؤلاء السبايا في الغربة وقد اجتمع عليهم فيها ذل الاسر وذل الصغار الذي فرضه الشرع المحمدي على النصرانية في الاسلام .

ويظهر ان اسرى الروم في الدولة الاموية كانوا حظيًا جدًا كما يدل على ذلك ما رواه ابن شاكر الكتبي ان « عمر بن عبد العزيز اشترى ملطية من الروم بمائة الف اسير وعمّرها »[3] . ومن اليقين انه بقي بعدهم بقايا رضخوا

١) احسن التقاسيم ٢٤٣

٢) شذرات الذهب للعماد الحنبلي ٢ : ٢٨٤

٣) فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ٢ : ١٢٣

الى العبودية وعُتقوا منها ورضوا بشقائها لياسهم من الرجوع الى الاوطان وآثروا التبلّد والبقاء بين اخوانهم في الدين بعد ان تقربوا منهم بالمصاهرة والزواج وامتزجوا بهم امتزاج الماء بالراح. ومن هنا يعلم غلط الذين يزعمون ان الملكيين في الشام ومصر والعراق وسائر المشرق من اصل آرامي بحت لا يخالطه شيء من الدم البيزنطي او الدم اليوناني في ايام الاسكندر . واذا صح بعض هذا الزعم انواهن فأحرِ به ان يكون في بعض القرى والضياع النائية التي غلبت فيها الصلاة بالسريانية كما تدل عليه مخطوطاتها الباقية ولكنه يبعد جدًا وينتفي افتراضه عبثًا في البلدان التي وقعت اليها فئة من اسرى البيزنطيين .

وكانت اقدار الاسرى الروم ومقاديرهم تزداد من حين لآخر بمن يلجأ الى بغداد من اكابر القوّاد وعظماء البطارقة الذين كانوا يثورون على قياصرة القسطنطينية وينازعونهم تاج الملك ثم يختمون منهم بعد الهزيمة والخذلان بدار الخلافة . ومن اعظمهم شهرة برداس السقلاروس وهو الذي عرفه ابن الاثير في تاريخه باسم « وردٍ » . ولما خالف الملك باسيل وعصى عليه التجأ بعد خيبته مستجيرًا بعضد الدولة بن بويه سنة ٣٧٠/٩٨٠ ومعه من اصحابه فيما رواه يحيى بن سعيد الانطاكي تقدير ثلاثمائة نفس وبقي معتقلًا معهم في بغداد سبع سنوات. واعتقل كذلك من اجله نيقيفور الاورانس رسول الملك باسيل الى عضد الدولة واحتيط على ما معه حين رُبِّيَ الى عضد الدولة انه قدم ليسم برداس السقلاروس[1] .

وليس لدينا علم تام بكل الافدية التي كانت تحصل من زمن الى آخر بين المسلمين والروم وانما اقتصر المؤرخون على بعضها فقط . وهذه امثلة منها تنقلها زيادة في تعريف احوال اسرى الروم التي وقفنا عليها بعد زمان الرشيد والمأمون.

ففي سنة ٢٣١/٨٤٥ حصل الفداء في زمن الواثق بالله على سلوقية سيرة يوم من طرسوس . وكانت عدة اسرى المسلمين اربعة آلاف واربعمائة وستين نفسًا « ورضوا عن كل نفس بنفس . فوجّه الواثق الى بغداد والرقة في شراء من يباع من الرقيق فاشترى من قدر عليه منهم فلم تتمّ العدة . فاخرج الواثق من قصره من النساء الروميات العجائز وغيرهن حتى تمت العدة »[2] .

١) كتاب الذيل ١٥٨–١٥٩

٢) تاريخ الطبري طبعة اوربة ٣ : ١٣٥٢–١٣٥٣

وانما فادى الواثق بمن في ملكه او«من قدر» على ابتياعه من سوقي الرقيق في الرقة وبغداد من المماليك الروم ولكن بقي منهم في القصور والدور وفي ايدي الخاصة من لم تسمح نفوس اربابهم بالتخلي عنهم . ومن هنا تتضح صعوبة تخيين جموع الروم الذين كانوا في ديار الاسلام وفي ملك الخاصة والعامة من الخدم والغلمان والوصائف والجواري .

وفي سنة ٢٨٣/٨٩٦ « كان الفداء بين المسلمين والروم فكان جملة من فُدي به من المسلمين الرجال والنساء والصبيان الفين وخمسمائة واربعة انفس »[1] .

وفي سنة ٢٩٢/٩٠٤ « كان الفداء على يد رستم فكان جملة من فودي به من المسلمين الف نفس ومائتي نفس »[2] .

وفي سنة ٣٣٥/٩٤٩ « كان الفداء بالثغور بين المسلمين والروم على يد نصر الشلي امير الثغور لسيف الدولة بن حمدان . وكان عدة الاسرى الفين واربعمائة اسير وثمانين اسيرًا من ذكر وانثى . وفضل للروم على المسلمين مائتان وثلاثون اسيرًا لكثرة من معهم من الاسرى فوفاهم ذلك سيف الدولة »[3] .

وقد انفق سيف الدولة في الافدية التي كانت تكون بينه وبين الروم اموالًا طائلة اتى احيانًا على ما كان لديه تحملها بما طُبع عليه من الكرم والسخاء . وانما ذكرنا مثالًا منها لدخول اخبار اساراه من الروم في تاريخ كنائس الكرسي الانطاكي الملكي .

وكنا نود ان نعلم شيئًا من الخدم والآثار التي تركها الاسرى في البيع والاديار الخاضعة للبطريركية الانطاكية . ولا شك انها كانت جزيلة جليلة لشدة محبتهم لكنيستهم الملكية وصدق تمسكهم بطقوسهم البيزنطية وكانوا يأبون ان يستمعوا الى غيرها . وقد تقدم حرص الفراشين منهم الذين كانوا في صحبة المأمون على بناء كنيسة لهم خاصة في مصر[4] . ولا يُبعد ان يكون

١) الكامل لابن الاثير ٧ : ١٥٨

٢) الكامل لابن الاثير ٧ : ١٧٧

٣) الكامل لابن الاثير ٨ : ١٥٤—١٥٥

٤) يؤخذ من شهادة سعيد بن بطريق ان الفراشين الروم كانوا في كل آن وكان شديدي التعلق بطقوسهم البيزنطية . وكانوا بمصر قبل العراق منذ ايام عبد العزيز بن مروان عامل مصر لشقيقه الخليفة عبد الملك . قال سعيد « وكان له فراشون نصارى ملكية . فلما أدخلوه

الاسرى وبينهم القواد والبطارقة قد انشأوا لهم في العراق على طول اغترابهم معابد او محليات خاصة كانوا يؤثرون التردد اليها ولكن ذهب الدهر بأخبارها وطمس على مواقعها فلم يبقَ لها عين ولا اثر .

ولدينا من الشواهد الدالة على ما كان للكنائس الملكية في العراق من السعة والغنى ما رواه لنا كتاب اخبار قطاركة كرسي المشرق في جملة كلامه على ابرهيم جاثليق النساطرة قال :

« لما عاد علوان كاتب يونس من الشام قصد اولًا دار الجاثليق فمنعه من الدخول اليها طول نهاره وكان صوم السليحين . . . فراسله عن السبب الموجب منعه فقال الجاثليق : تخرج الى بلاد مصر والشام وتبتاع لبيع الملكية املاكًا بخمسة عشر الف دينار ؟ والله لا وصلتَ الي الا بعد ان تحمل عشرة آلاف دينار ليكون لي الفضل على الملكية . فتقرر الامر على خمسة آلاف دينار فحملها ودخل اليه . فقال له الجاثليق : اني غرتُ عليك . فشكره وسأله الصفح »[1] .

وكفى بهذا القول وحده دليلًا على ما كانت عليه كنائس الملكيين في بغداد والعراق من سعة الاملاك وثروة الاوقاف . وهي تنمّ عما كان وراءها من كثرة الانصار ومقدرة الاشياع . ولا غروَ فانها كانت تعتزّ بجاليتها الرفيعة القدر وبالرسل الذين كانوا من حين لآخر يَفِدون عن ملوك الروم الى الخلفاء العباسيين وتستعين بجاههم وثرائهم لاصلاح احوالها وتنمية املاكها وتتقوى ايضاً بمن يلجأ الى بغداد من اكابر القواد وعظماء البطارقة الذين كانوا يثورون على قياصرة القسطنطينية وتستدر منهم الصدقات للازدياد من مقتنياتها واوانيها وذخائرها . ولا يبعد انه كان للجواري الروميات في حاضرة الخلافة نصيب في الاحسان الى كنائسهم البيزنطية . وكان منهن في القصور السلطانية جيش

في بناء كنيسة فاذن لهم فبنوا كنيسة مار جرجس بحلوان وهي كنيسة صغيرة وكانت تسمى كنيسة الفراشين » (نظم الجوهر ٢ : ٤١) وهو ما تكرر حدوثه في زمن المأمون بالتمام والكمال . ففراشو العباسيين هم نظراء فراشي الاموريين في المحافظة على منحتهم الملكية والعناية ببناء معابد خاصة بهم من اجلها . وهي فضيلة يجب ان تسجل لهم بأطيب الذكر والشكر .

١) اخبار قطاركة كرسي المشرق من كتاب المجدل طبعة رومة ١٨٩٩ ص ٩٣–٩٤

تتضاءل بالنسبة اليه قوة جيش الجنود وكن دائماً في هذه القصور في سعة من الاموال التي كانت تنثر عليهن . وقد سبق ان المأمون في عيد الشعانين امر ان يُنثر عليهن ثلاثة آلاف دينار . ولا ريب ان بعض هـذا النثار والدنانير الملتقطة صار الى صناديق الكنائس الرومية صدقة للعيد .

ومما تقدم يتضح جلياً عظم شأن الملكيين في بغداد ومنزلة كنيستهم بين الكنائس الشرقية في عهد العباسيين . ولذلك كان بطريرك انطاكية لا يرى بدًا من تعيين جاثليق لها تفوق سلطته وجلالته سلطة المطران في بقية المدن العراقية .

متى نشأت الجثلقة في البطريركية الملكية الانطاكية

ليس لدينا قول ثابت في تعيين الزمن الذي بدأت فيه الجثلقة في الكرسي الانطاكي . وفي تاريخ بطاركة انطاكية للبطريرك مكاريوس الزعيم ان «العادة من زمان الثلثماية وثانية عشر (يعني مجمع نيقية) ان بطريرك انطاكية يشرطن كاثوليك اكتيسفون»[1] . اي منذ سنة ٣٢٥ وهو قول لا سند له ثابت وفي تاريخ ولده الشماس بولس المخطوط عندنا بقلمه نسختان « في صفة ترتيب كراسي روسا كهنة الابرشية الانطاكية » احداهما قديمة جدًا في اللغة اليونانية استخرجها الشماس بولس الى العربية ولا ذكر للجثلقة فيها . والثانية « كما هي في اللغة العربية مفسرة من القديم من غير زيادة ولا نقصان من عهد انسطاسيوس الاقدس القديم بطريرك مدينة الله العظمى انطاكية وسائر المشرق » ذكر فيها ان تاريخها سنة ٥٧٩٣ للعالم الموافق بسنة ٣٠٥ للتجسد الالهي وسنة ٨٠٢ للاسكندر . وهذه التواريخ الثلثة غير صحيحة وليس احد منها يوافق الآخر . ومعلوم ان انسطاسيوس تولى كرسي انطاكية مرتين الاولى من سنة ٥٥٩ الى ٥٧٠ والثانية من سنة ٥٩٣ الى ٥٩٩ فيكون تاريخ الترتيب المذكور القرن السادس للميلاد .

وفي هذه النسخة الثانية انه كان « في طاعة بطريرك انطاكية كثالكة اربعة

الاول : المتقدم في الذكر جاثليق مدينة بغداد .

الثاني : كاثوليك الكرج اعني الجرجان .

---

١) خزانة الفاتيكان ٦٨٩ ص ١١٢

الثالث : كاثوليك منتاس فرغان ماغاليس ارمينياس . اي ارمينية العظمى.
الرابع : كاثوليك سمرقند العجم واعمال الخطا (Cathay) .

وفي كتاب الآثار الباقية لابي الريحان البيروني تعداد بعض الجثالقة في خراسان وذكر ان كل منهم . قال وبين اسم الذكران والعيد فرق . فان العيد اجل مرتبة والذكران ادون »(ص٣٠٠) ويريد بالذكران التذكار .

وهذه اسماء الجثالقة الذين عرفهم وروى يوم ذكراتهم عند الملكانية اي الروم الملكيين ننقلها كما وردت في كتابه :

١٨ كانون الاول ذكران سيسين الجاثليق الخراساني (٢٩١)
٥ شباط ذكران سيس الجاثليق اول من اورد النصرانية الى خراسان (٢٩٤)
٢٥ نيسان ذكران ايليا الجاثليق بخراسان (٢٩٦)
٣٠ نيسان ذكران شمعون بن صباعي الجاثليق المقتول بخوزستان مع من كان معه من النصارى (٢٩٦).

وهذه الايام واردة في كتابه دون ذكر السنة فلا نعلم في الحقيقة اي سنة كانت مبدأ جثلقة خراسان. وفي كتاب المجدل لعمر بن متى ان شمعون برصباعي اي ابن الصباغ كانت استناحته اي وفاته يوم جمعة الصليوت الثالث عشر من نيسان سنة خمس وخمسين وستمائة[1]. واذا كان هذا التاريخ هو للاسكندر يكون موته سنة ٣٤٣ فهل تقدمه في الولاية والوفاة احد الجثالقة الثلاثة المذكورين قبله . وهل في هذه الرواية تصحيح لشهادة البطريرك مكاريوس السابقة الذكر ان جثلقة اكتسيفون – المدائن كانت في الربع الثاني من القرن الرابع. ولا تزال هذه المسألة غامضة الى ان يتسنى لنا الوقوف على ثبت آخر يزيل كل شك .

ولدينا شهادة صحيحة على ان جثلقة سلوقية – المدائن وجثلقة خراسان كانتا معروفتين في اوائل القرن الحادي عشر معرفة مشهورة[2]. وورد ذكرهما في رسالة بطرس بطريرك انطاكية الى دومنيك بطريرك غرادو سنة ١٠٥٩[3] . وكان مقام جاثليق خراسان بادئ بدء في مَرو كما تقدم من لفظ البيروني

١) كتاب المجدل ص ١١
٢) L. Bréhier: *Le Schisme Oriental du XI^e siècle*. Paris 1899, p. 238

ومحمد الخوارزمي الكاتب . ثم انتقل الى نيسابور بعد انتقال الإمارة اليها كما يتحصل من قول ابن حوقل « كانت دار الامارة بخراسان في قديم الايام بمرو وبلخ الى الايام الطاهرية فانهم نقلوها الى نيسابور »[1] . ولعلها كانت قبلاً في الشاش (طاشكند) من وراء النهر كما جاء في خبر ابرهيم بن يوحنا الكاتب الذي رويناه سابقاً . وكان في نيسابور كما كان في سلوقية — المدائن وهي تدعى احياناً « بابل » محلة للروم منسوبة اليهم وفيها دار للجاثليق تعرف به ولذلك كان يقال له باليونانية جاثليق روماجيريس (Romagiris) اي جاثليق محلة الروم. فكانت سلطته تتناول ما وراء خراسان وديار الترك الى اقصى المشرق ولهذا السبب ورد عنه في نُسَخ ترتيب اسقفيات الكرسي الانطاكي القديمة انه « كاثوليك سمرقند العجم واعمال الخطا » . وكان تحت يده بضعة اساقفة نصّ البيروني على ان مقام مطران خراسان منهم كان بمرو وهي اشهر مدن خراسان واعرقها في الدين المسيحي لقول البيروني ان بَرْشبا القس ورد مرو بالنصرانية بعد المسيح بزهاء مئتي سنة وذكرانه في الحادي والعشرين من حزيران[2] . وكان اهل مرو متحمسين في مذهبهم شديدي التمسك به نبّه البيروني على اسم احد شهدائهم في عهده فقال «في الرابع عشر من تموز ذكران يوحنا المروزي الحديث المقتول في زماننا »[3] . والنسبة الى مرو مروزي . ومعلوم ان البيروني توفي بسنة ١٠٤٨/٤٤٠

ولم تكن جالية مرو معروفة بصدق اعتقادها وشدة الدفاع عنه فقط بل كان بينها اقوام من ذوي الهمم والفطن تحلّوا بالادب والنظم . ومن شعرائهم الذين طرّحت بهم الخطوب والنوب واحد فاتنا اسمه قذف به الدهر الى مدينة الرها نقل لنا ابن عساكر خبرًا عنه من حديث ابي محمد بن القاسم الشامي قال:

« اجتزت بكنيسة الرها عند مسيري الى العراق فدخلتها لاشاهد ما كنت اسمع عنها . فبينا انا في طوافي اذ قرأت على ركن من اركانها مكتوباً بحمرة « هذا قبر فلان بن فلان وهو يقول : من اقبال ذوي الفطنة اذا ركبته المحنة انقطاع الحياة وحضور الوفاة . واشد العذاب تطاول الاعمار في ظل الإدبار . وانا القائل :

---

١) المسالك والممالك طبعة ليدن ١٨٧٣ ص ٢١٣

٢) الآثار الباقية ٣٦٦

٣) » » ٣٠٠

وهمة ادى مناها النفس ونفس تعالى في المكارم والنفس
وقد كنت ذا حين غروراً قوية فبلغت الايام بي همة الزها
ولو كنت مرزوقاً كما لم أزل حيي ولكنني اصبحت ذا عزبة بها
ومن عادة الايام اسعاد مصطفى وتفريق مجموع وتنغيص مشتهى

فاستحسنت النثر والنظم وحفظتها »[1].

ومن قتلى النصرانية وشهدائها في نيسابور سبعة نقل البيروني ان ذكراهم في الثالث من ايلول[2] ولا نعلم هل كان قتلهم في عهد الجاثليق ام في غيابه من المدينة . ولا سبيل الى معرفة سنة استشهادهم .

وقد تقدم ان مقتل الجاثليق شمون بن صباعي كان في خوزستان مع من كان معه من النصارى المقيمين فيه . ولعله قدم اليه لتعهد شؤونهم اذا صح ان مقامه كان في خراسان وان تدبيرهم كان موكولاً اليه . ويؤخذ من رواية ياقوت ان نصارى خوزستان كانوا من الروم الذين اجلاهم سابور ذو الاكتاف لما غزا المدن الرومية ونقل خلقاً من اهلها فاسكنهم نواحي خوزستان »[3].

وللاب الصعودي سيلفان ڤايليه (S. Vailhé) درس ممتع في جثلقة خراسان رجّح فيه ان اول وقت جُمع بها كان في القرن التاسع[4] .

وقد حُرمنا من كل اثر عنها او اشارة اليها في التركات العربية قبل ان يسعدنا الحظ والتوفيق بتحصيل سيرة مقتل البطريرك خريسطوفورس الشهيد للكاتب الروماي الملكي ابرهيم بن يوحنا باملائه العربي الذي تقدم تلخيصه واختصاره في الصفحات الاولى من هذا الكتاب . ويستفاد منه انه لما بنيت بغداد بين سني ٧٦٢ — ٧٦٦ كان في جوارها في المدائن (طيسفون) جاثليق للملكيين فلم يؤذن له ولرعيته بالتحول الى بغداد في جملة من نُقل اليها ونُفوا باجمعهم الى « بلد بعيد من بلاد الفرس يدعى شاش »ثم تكاثرت جموع الاسرى من الروم في بغداد على اثر المغازي والحروب فوقع الجدال بين الملكيين في اين يجب ان يكون الجاثليق الذي كان قبلاً في المدائن وهم أولى به . واشتدت

١) تاريخ ابن عساكر ، ظاهرية دمشق ٣ : ١١٢
٢) الاثار الباقية ٣٠١
٣) معجم البلدان ٢ : ٤٩٧
٤) *Echos d'Orient* X (1907) pp. 90-101

الحاجة الى قيامه في حضرة الخليفة في مدينة السلام . واتفق ان توفي جاثليق شاش في ايام البطريرك اغابيوس بن القعبرون فاقبل من روجرد ثلاثة رسل احدهم قسيس والاثنان شمامسان في طلب جاثليق خلف للمتوفى وعلم بقدومهم الى انطاكية اهل بغداد وتخوفوا ان ينفردوا دونهم بالجاثليق . وكان عيسى احد رجالهم الاشداء وهو الذي انتدب للبطريركية بعد القعبرون ودعي خريسطوفورس . وكان من اكبر المقاومين في نصب جاثليق لروجرد فتطوع لمناظرة الرسل واقبل الى انطاكية واحتج لدى البطريرك اغابيوس وكان غير مائل لطلب اهل بغداد فتوقف حباً للمداراة واجّل النظر في امر الجاثليق. ثم ادركته الوفاة سنة ٩٥٨ في الغالب وخلفه خريسطوفورس وكان من اول همه معالجة مشكل الجثلقة فاسترضى الفريقين بان نصب جاثليقين احدهما لنيسابور وروجرد والثاني لبغداد .

ويؤخذ من شهادة ابرهيم بن يوحنا الكاتب ان انتقال جاثليق المدائن الى الشاش كان بعد سنة ٧٦٢ وهو ما يستنتج منه ان منصب الجاثليق وقتئذٍ في خراسان كان فارغاً بعد قيام عدة جاثلقة عليه كما سبق من كلام البيروني.

ويظهر ان الملكيين في خراسان كانوا من عنصرين ارامي بلدي وروحي بيزنطي من الروم الواردين للتجارة والارتزاق . وكانوا يتلون صلواتهم اما باليونانية واما بالسريانية وهي الغالبة فيما يظهر كما يستدل من مراجعة الالفاظ والمصطلحات الارامية التي نقلها عنهم البيروني في كتابه الآثار الباقية .

اسماء من عُرف من جاثلقة خراسان

ودونا آنفاً عن البيروني اسماء الجاثلقة سيس وسيسين وايليا وشمعون بن صباعي . وغاب عنا اسماء من قام بعدهم الى حين وفاة جاثليق روجرد في عهد البطريرك اغابيوس بن القعبرون الذي انتقل الى جوار ربه سنة ٩٥٨ وقد نقل لنا ابرهيم بن يوحنا الكاتب الملكي اسم من اختير بعده وهو اوتيكيوس من انطاكية ولكنه اقتصر على تسميته دون ان يضيف اليها شيئاً من اخباره. ويظهر انه قام من بعده « انبا يوحنا » الذي دعاه العجيب . وذكر انه « أهل لان صار كاثوليكاً على المشرق ».

وبقي منصب الجاثليق في المشرق محفوظاً فيما يظن الى القرن الرابع عشر. وأضيف اليه في زمن لا يتيسر تعيينه لقب « اكسرخس الكرج » كما جاء في شهادة بطريركية بخوميوس مطران دمشق سابقاً التي أرسلت بين سني ١٣٦٤ و١٣٦٧ الى فيلوثاوس بطريرك القسطنطينية وفيها تواقيع احبار الكرسي الانطاكي بانتخابه بخوميوس المذكور وفي مقدمتهم «جرمانس جاثليق روما جيريس واكسرخس البلاد الكرجية »[1] . ويظهر ان هذا المنصب سقط وزال بعد ذلك لانه لم يرد له ذكر في جرائد استفيات البطريركية الانطاكية التي كتبت في القرون التالية ولا سيما في القرن الثامن عشر .

جاثليق المدائن وبغداد

ذكر البطريرك مكاريوس الزعيم الحلبي في كتابه « النحلة » انه وجد في كتاب قوانين الكنيسة الشرقية بالرومي في الرسالة التي ارسلها جناديوس القديم بطريرك القسطنطينية الى ساير روسا كهنة المسكونة الذين كانوا وقتئذ في ايامه وكان مضمونها ان لا يأخذوا على الشرطونية شيئاً وكتبوا فيها ساير روسا الكهنة وقتئذ خطوط ايديهم بارتضائهم بذلك انه كان من جملتهم . . . فوتيوس كاثوليك بابل . . .»[2] . وهم يسمون احياناً المدائن وساوقية « بابل ».

وكان في المدائن سنة ٧٦٢ حين بنا بغداد جاثليق لم يُحفظ اسمه نُفي مع رعيته الى الشاش كما تقدم في سيرة مقتل البطريرك خريسطوفورس لابرهيم بن يوحنا الكاتب . ولا تعرف سنة وفاته .

وفي زمان البطريرك الانطاكي ايليا حوالي سنة ١٠١٠ كان في بغداد جاثليق يدعى يوحنا ورد ذكره في تاريخ ابن العبري في روايته السريانية[3] وله خبر طريف في ترجمة ابرهيم جاثليق الناظرة المتوفى سنة ٣٣٥/٩٣٧ قال فيه ماري ابن سليمان :

---

١) Miclosich et Muller : *Acta patriarchatus Constantinopolitani*, Vienne t. I, p. 465.

٢) حزانة الاباء اليسوعيين في بيروت رقم ١٦١١ ص ٤٩

٣) *Chronicon Ecclesiasticum*, éd. Lamy, t. II, p. 236

« منع الجاثليق رئيس الملكية من التسمي بالمثلثة ومن ان يسير اسفلاً وحمل عليه الرصد نزاع بيعته (مزاحما) وفي بعض الليالي عرفه ان هوذا يسير اسفلاً على سالور فهجم عليه في المذبح وهو يسير وحمله الى الشرطة . وحضر وجوه النصارى وتجاذبوا مجاذبة توسطها السلطان وناظره واقلع بالحجة . وكتب على بني[1] سنجلا ان لا رئاسة له في مدينة السلام ولزمه مال . وفي بعض المجالس ضجر علي بن عيسى (وزير الخليفة) فقال لا فرق بينكما عندي (اي بين الجاثليقين النسطوري والملكي) فأبلس ابرهيم عن الجواب . فقال له ابن المطلب الهاشمي سرًا : ان خلصتك عليك الف درهم ؟ قال. مزرًا[2] فقال الهاشمي : « أعيذ بالله الوزير ان يتصور هذا. النسطور سلمٌ لنا والملكية حرب فكيف نسوّي بينهم »[3] فقال اصطفن[4] لاخيه لم تفارقنا حتى أغريت بدمائنا . فان هذا القول سمعه من حضر من القضاة والفقهاء وغيرهم .

وبلغ ابرهيم ما يجب . وكتب له المنشور وانصرف مكرمًا وفرّق مالًا . والسجلّ في دار الجثلقة »[5].

وانما قال الهاشمي « الملكية حرب لنا » لان الملكيين كانوا معروفين بانتمائهم الى زعيمين كان كل منهما عدوًا للاسلام وهما قيصر الروم الذي كان في حرب مستمرة مع الخلافة العباسية . وبابا رومة وكان مشهورًا بتحريضه الدائم على قتال العرب للدفاع عن الاماكن المقدسة . وكانت الدواوين السلطانية في بغداد تصف القيصر في كتاباتها بانه من رؤساء المذهب الملكي والبابا بطريرك الملكيين[6]

واذا قدّرنا ان اعتداء النسطوري على الملكي كان في اول سنة من وزارة علي بن عيسى بن الجراح للخليفة المقتدر بالله تكون المشاجرة بين الجاثليقين قد حدثت سنة ٣٠١ للهجرة اي ٩١٣ — ٩١٤ للميلاد بعد اربع سنين تقريباً من

---

١) في المتن المطبوع « وكتب على بن سنجلا » وهو ما يوهم الصحة لان ابن سنجلا كان من كتاب النساطرة . ولكن في المتن المخطوط في خزانة باريس « وكتب على بني سجلا » بالياء والالف المقصورة . ولا شك ان الاصل بني بالياء المثناة والنون المشددة المكسورة اي يوحنا وهو اسم جاثليق الملكية يومئذ في بغداد.

٢) لعل الاصل « وعشرًا » اي عشرة آلاف درهم .

٣) في الاصل المطبوع « أعيذ الله الوزير ان يتصور هذا النسطور سلما لنا والملكية حربا» وهو ما ينقلب به المراد الى ضده والأولى ما اثبتناه اعلاه .

٤) لا يُعرف من هذا اصطفان ولعله كان شقيق الجاثليق يوحنا .

٥) اخبار فطاركة المشرق ٩٣-٩٢

٦) صبح الاعشى للقلقشندي ٥ : ٣٠٨ و ٤٠٨ و ٤٧٣ — ١٣ : ٣٧٧

تولي يوحنا الجاثليقة ؛ ولا يعرف متى كانت وفاته وهل اقام في بغداد ام نزح عنها . ولم نهتد الى اسم من خلفه في منصبه .

وكان للنساطرة في زمانه نفوذ عظيم في حاضرة الخلافة وتفوق طائل على سائر النصارى من ملكية ويعاقبة لان معظم كتاب العباسيين واطبائهم كانوا منهم . وكانت العهود والتواقيع التي تكتب لهم « عن الديوان العزيز النبوي » تسجل لهم هذه الزعامة ليس في العراق فقط معقلهم الحصين بل في كل ديار الاسلام . وفي دعوى كتاب النساطرة ان هذا السبق او الفضل الذي كان لهم على كل النصارى « نطقت به المناشير المقررة في ايام الخلفاء الراشدين » كما كانوا يسطرونه باقلامهم في العهود التي كانت تعطى لجاثليقتهم . واقدم عهد اتصل بنا من هذا القبيل هو بتاريخ ربيع الاول سنة ٤٦٧ (١٠٧٤م) وهو من انشاء ابي سعيد بن موصلايا اشهر رؤساء كتابهم في الديوان . وقد توسع فيه ما شاء في وصف تقدم النساطرة على الملكية واليعقوبية ننقل اهم ما فيه لحلّه الاثير في تاريخ النصرانية في الاسلام . قال :

« واوعز (امير المؤمنين) بترتيبك جاثليقاً لنسطور النصارى بمدينة السلام وبسائر البلاد والاصقاع وزعيما لهم وللروم واليعاقبة طرّا . ولكل من تحويه ديار الاسلام من هاتين الطائفتين ممن جا يستقر واليها يطرا . وحمل امرك فيها ممتثلا . وموضعك من الرئاسة عليهم متأثلا . وان تنفرد بالتقدم على هذه الطوائف اجمع . ليكون قولك فيها يجيزه الشرع فيهم يُقبَل واليك في احوالهم يُرجَع . وان تتميز بأبهة الزعامة . في مجامع النصارى ومصلياتهم عامة . من غير ان يشركك فيها او يشاكلك في النسبة الدالة عليها مطران او اسقف للروم او اليعاقبة لتغدو شواهد ولايتك بالاوامر الإمامية بادية للسامع والناظر . وآثار قصورهم عن هذه الرتبة التي لم يبلغوها كافّة للمجادل منهم والمناظر . ومنعوا بأسرهم من مساواتك في كل امر هو من شروط الزعامة ورسومها . والتربي بما هو من علاماتها ورسومها . اذ لا سبيل لاحدهم ان يمد في مبارانك باعه . ولا ان يخرج من الموجب عليه من الطاعة لك والتباعة . وحملك في ذلك على ما يدل عليه المنشور المُنشأ لمن تقدمك المُمضى لك ولكل من يأتي بعدك . المجدّد بما حواه ذكر ما نطقت به المناشير المقرّرة في ايام الخلفاء الراشدين صلوات الله عليهم اجمعين . لمن تقدمك في مقامك . واحرز سبق منزلك ومرامك . من كون المنصوب في الجثلقة اليه الزعامة على ما تنشّه ديار الاسلام من هذه الفرق جما . والمنصوص عليه في التقدم الذي ليس لغيره من رياضه مرعى . »[1]

وليس وراء هذا التهويل والتطويل محل الزيادة والإغراق في تأدية المعنى

١) صبح الاعشى للقلقشندي ١٠ : ٢٩٧-٢٩٨

الواحد وقد استوفاه ابن حمدون باقل من هذا الهذر واللغو واوجز في عهد عبد يشوع الجاثليق فقال في خطابه :

« برز الإذن الإمامي الاشرف — لا زالت اوامره بالتوفيق مقرونة — بترتيبك جاثليقاً لنسطور النصارى بمدينة السلام . ومن تصفّح دير الاسلام . وزعيماً لهم ولمن عداهم من الروم واليعاقبة والملكية في جميع البلاد . وكل من حاضر فيها وباد »[1] .

ومع كل هـذه الاوامر والاحكام الجائرة لم تكن سلطة الجاثليق النسطوري تتجاوز فعلا حدود العراق ولكنها كانت في بغداد تتعدى كل طور في بعض الاحوال وتبلغ منتهى العجرفة في الدعوى والفظاظة في الإدلال . فلا غرو ان كان جاثليق الروم الملكيين ضاق بها احياناً ذرعاً وحالت بين سلطته ومقدرته في العناية بالكنائس وتدبير الرعايا . ولم يكن جاثليق اليعاقبة اسعد منه حظاً او اطلق يداً . وهذا مثال مما كانوا يعاملون به من كان يتصدى لمقاومتهم والدفاع عن حقوقه منهم .

اتفق في عهد سبريشوع الجاثليق المعروف بزنبور (١٠٦١ — ١٠٧١م) ان جاثليق اليعاقبة توما هِبَة زوّج ابنة ابي غالب الطبيب النسطوري بابن ابي طاهر البلدي اليعقوبي . فلما درى بذلك سبريشوع انكره اشد الانكار وعاتب توما فقال له توما : نحن رئيسان لشعبين وبيعتين . فلما سمع منه هذا الجواب تضرّم غيظاً وقامت قيامته « وجمع كافة الشعب النصارى رؤساءهم وزعماءهم وجماعة الطب فتقدم اليهم ان لا يقصد كاتب ديوانه ولا طبيب بيمارستانه ولا تاجر دكانه ومعيشته . ورفع التظلم على اهل هذه النحلة الى الامام القائم بأمر الله تعالى رحمة الله عليه واظهرت الحجة والمنشوران المكتوبان لهم احدهما في ايام المقتدر . والآخر في ايام القادر بالله في ايام ابراهيم ويوانيس اخاثاليقين . وعند تصفح ذلك تقدم (الخليفة) بكتب منشور لهذا الاب سبريشوع يتضمن دخول زعيم اليعاقبة والملكية في طاعته والائتمار له . وتقدم الى هذا الجاهل المفرط التعدي طوره بقصد باب الجاثليق وصحبته اصحابه ليعتذر اليه مما جرى منه . وكان ذلك في الصوم الكبير وحضر في القلاية جماعة الرؤساء البغداديين والمشايخ المؤمنين . وعند حضور اليعاقبة معهم اوصلوا الى القلاية وتحدث

١) التذكرة الحمدونية . بريتش موزيوم Or. 3179 f° 31

الفريقان الحديث الزائد ويجل هذا الجاثليق عليه غاية التبجيل . وما بعد الجاثليق لما اوصل تلك الليلة بات في بيت مار ماري السليح عليه السلام في دار الروم كاظلا (اي صائما) بعد ان اخرج له شمعة وما كل فامتنع من الافطار وقال لا طريق الى اخذ العذا. دون ان يقع الرضى . فلما كان من الغد اوصل واعتذر وقبل عذره وخلع عليه . وعند خروجه من القلاية وعبوره الى قلايته اعترضه اصحاب الامير ايتكين السلماني شحنة بغداد وحبسه . فعرف الجاثليق ذلك تقصد دار هذا الامير وخلصه من يده وكان ذلك امتعاضاً لما تم على الجاثليق .[1]

وهذه الفتنة التي اثارها النسطوري واضرم نارها والب فيها الرجال وعطل الدواوين والبيمارستانات والاشغال وامر منها بمثل ما يحدث اليوم من مشاغب الاعتصاب والاضراب عن كل خدمة وتجارة ومهنة . وشدّ على يده فيها « مدير الشحنة » من اجل كلمة قالها اليعقوبي بكل حق هي من اغرب الحوادث التي كانت تحدث بين فرق النصارى في الاسلام واول البينات على ما بلغ اليه اشياع نسطور في الخلافة العباسية من التوّ والطغيان والاعتزاز بالسلطان والاحتماء بكتابهم في الدواوين والاعمال لاجتضام من كان خارجاً عنهم من الكنائس الشرقية وابتذاذ حقوقهم « في ظل الديوان العزيز النبوي » . ومن انكى الحسرات ان يكون فاتنا اشال لها ونظائر تبيننا عما كان يجري قديماً من الخوارق والغرائب بين الملل المسيحية التي فرّقها الشقاق والعناد وجمعها في ذمة الاسلام الذل والصغار وزاد في شقائها واختلافها شيطان المكايد والدسائس .

ولا يدرى من قام في مدينة السلام بعد يوحنا الذي ضغط عليه الجاثليق ابرهيم النسطوري ونازعه حق الرئاسة في بغداد وسياسة الاساقفة للكنائس الملكية في العراق . ويؤخذ مما سبق من كلام ابرهيم بن يوحنا الكاتب انه في زمان البطريرك اغابيوس القمبرون كان كرسي الجثلقة في حاضرة الخلافة شاغراً . ولما قام البطريرك خريسطوفورس اختار له سنة ٩٥٩ في الغالب عاماتياً من حلب يدعى ماجد فاتنا اسمه الكهنوتي كما فاتنا تاريخ وفاته .

---

١) اخبار فطاركة كرسي المشرق من كتاب المجدل لماري بن سليمان . رومة ١٣٥-١٣٦

ومن خلفائه في فاتحة القرن الحادي عشر جاثليق كان يدعى ايضاً يوحنا ذكره الراهب تيكن في كتابه التيكون الصغير في الباب السادس والعشرين كان في زمان نقيفورس الماجسطرس دوقس انطاكية . وكان ولاية نيقيفور كما في ذيل يحيى بن سعيد الانطاكي في اوائل المحرم سنة ٣٩٠ (٩٩٩م) ومن الغريب الطريف ان تيكن زعم في كتابه المذكور ان يوحنا آثر التنزل عن الجثلقة لان الخليفة سامه تعميد ابنه . وكان اهل بغداد فيما قيل يعتقدون ان الطفل المسلم اذا عمّده النصارى طالت حياته . وهو ما رواه تيكن في الباب الحادي والعشرين في جوابه على سؤال القاه عليه قسيس اللاذقية عن اطفال المسلمين « وانهم يطلبون عمادهم لا حسنَ يقين منهم بالمعمودية ولكن تخيّلاً ان بواسطة المعمودية يعيشون زماناً اكثر واطول . » قال ليكن واستخبر من قوم ذوي معرفة من يعرف يوحنا جاثليق بغداد الذي كان في ايام نيقيفور دوقس انطاكية الماجسطرس . وجسده اعني هذا الجاثليق مدفون في ارشايا . هذا كان سبب اعتقائه من الجثلقة هو ان امير المؤمنين التمس منه تعميد ولدٍ له ليحيا . فاستخبر خبره تجده عجيباً ونافعاً ولو كنت قربي كنت اشرح لمحبتك هذا الخبر منفعة لك ولغيرك »[1]

وسواء صحّ هذا الزعم او كان تخلّي يوحنا عن الجثلقة لسبب آخر فالارجح انه بعد استقالته اعتزل في انطاكية ومات فيها ودفن في دير ارشايا في جوار انطاكية وهو الدير الذي دفنت فيه جثة خريسطوفورس الشهيد بعد مقتله قبل نقلها الى كنيسة القديس بطرس الرسول.

وقد اغفل البطريرك بطرس الرابع اسم من كان في بغداد في ايامه سنة ١٠٥٢ حين ذكر جاثليقي العراق وخراسان في رسالته الى دومنيك بطريرك غرادو كما رويناه آنفاً . ولا نعلم هل توفي هذا الجاثليق في عهده ام في ايام البطريرك تاردوسيوس الثالث قريباً من سنة ١٠٥٧ وعلى كل يتحصل من شهادة تيكن ان تاردوسيوس همّ ان يقيمه جاثليقاً في بغداد خلفاً للمتوفى . وهذا نص ما قصّه في كتابه المشار اليه في الباب الحادي والثلاثين في رسالته الى الراهب كير باسيل :

---

١) نقلنا هذه الشواهد كلها من كتاب التيكون الصغير لتيكن حسبما اقتطفها منه الشماس بولس الحلبي في كتابه تاريخ انطاكية المخطوط بقلمه عندنا .

« استدعاني البطريرك تاودوسي وكان عارفاً بامري معرفة تامة ولا وقف على قصدي . ورأى اول ما تلقاني ان يعدل الى مداد جاثليقاً وان يرضي قسيس . واد امرتني نفسي وعلمي بنفسي عرفته اني غير مستحق للكهنوت . ثم اثنى عن رأيه الاول واستقر رأيه ورأي جميع سينودسه والعلمانيين ايضاً وكافة الشعب ان يسيمني قسيساً ويقلدني النظر في سائر الابرشية البحرانية والجزائرية والسائبة ايضاً. واكرهني على ذلك »[1].

وجدنا لو كان نيكن نقل لنا اسم من اختاره البطريرك تاودوسيوس بدلاً منه لجاثليق بغداد. ولا ريب ان هذا المنصب الخطير لم يخلُ في الغالب من مدبّر له حتى القرن الرابع عشر . تولاه من مدة لاخرى اقوام نجهل اليوم انسابهم والقابهم تتابعوا عليه حتى خراب بغداد على يد التتار . لانه يمتنع الاحتمال ان تكون حاضرة الخلافة العباسية خلت حيناً من جاثليق للروم على كثرة من كان فيها من الملكيين البلديين والطارئين

وما عتم منصب الجاثليق ان ضعف جداً وتلاشى بعد خراب بغداد على يد تيمور سنة ٨٠٣ / ١٤٠١ ويظهر ان لقب الجاثليق او الكاثوليك انتقل الى مطارنة حلب دون ان نعلم السبب هل كان لقرب الجوار ام لاعتبار آخر . وفي خزانة القبر المقدس مخطوطات دينية ورد فيها ذكر « الكاثوليك كيرملاتيوس الحلبي الثاني » بتاريخ سنة ١٦١٦ ولما التأم المجمع الارثذكسي بدمشق سنة ١٨٩٧ لاسقاط البطريرك سيريديون كان في جملة اساقفته سيرافيم مطران ايرينوبوليس[2] لقب مدينة السلام بالرومية . وهو ما يدل على ان رتبة جاثليق بغداد صار مسماها الى مطارنة حلب وبقي لقب المطران عليها محفوظاً مستقلاً يتقلد به البطريرك الانطاكي من شاء من اساقفته .

كنائس الجاثليق وادبارهم في العراق

كان العراق حافلاً بالبيع والاديار كما تشهد بذلك ملياً الكتب الموضوعة في الديارات . ومن الشقاء ان يكون اكثرها قد ضاع ولم يسلم لنا منها الا ما نقله عنها ياقوت في معجم البلدان وشهاب الدين العمري في مسالك الابصار. وهي نُسَخ لا تغني عن الاصول. والاصل الوحيد الذي افلت من عوادي الدهر بعد ان اختزل منه قطعة سقطت من النسخة اليتيمة في برلين كتاب الديارات

١) كتاب التيكون الصغير .

٢) الحقائق الوفية في تاريخ الكنيسة الانطاكية الارثوذكسية ٧٣

للشابشتي . وهي كلها خالية من كل اشارة الى مواقع كنائس الروم الملكيين وادبارهم في بغداد وانحاء العراق لقلة احتفال مؤلفيها بالتنبيه على نسبة كل معبد وكل دير الى احدى الفرق الثلاث النصرانية الا في ما قل وندر . وهم في الغالب لا يهمهم الا وصف الشراب والتنزل بالرهبان الاحداث والراهبات ولذلك فاتنا كثير من الفوائد والاوصاف التاريخية التي كنا نزجر العثور عليها في امثال هذه المصنفات الموضوعة في الديارات .

واوحد ما وقفنا عليه من اسقفيات جثلقة بغداد ذكر «صمالو» في كتاب المجدل لعمر بن متى . وهي التي أعجل الجاثليق يوحنا كما تقدم[1] عن إصلاح اسقف لها وعُدّت في جملة الاديار . وهو الدير المشهور في رقة الشماسية شرقي بغداد روي اسمه بالصاد «صمالو» . وفي فتوح البلدان للبلاذري «ضمالو»[2] بالضاد وهو لا شك غلط طبع. حكى ياقوت في اصل بنائه «ان الرشيد غزا في سنة ١٦٣(٧٧٩—٧٨٠) اهل صمالو فسألوا الامان لعشرة ابيات فيهم القومس[3] وان لا يُفرّق بينهم فأجابهم الى ذلك . فأنزلوا بغداد على باب الشماسية فسموا موضعهم صمالو غيّروا الصاد بالسين وبنوا هناك ديرًا»[4] . وفي تاريخ الطبري ان صمالو او سمالو اسم قلعة كانت بأرض الروم وحكى غزاة الرشيد لها[5] ووصف ياقوت دير سمالو فقال :

«هو دير مشيد البناء كثير الرهبان وبين يديه أجمة قصب يرمي فيها الدير . قال احمد بن عبدالله البديعي يذكره :

هل لك في الرقة والدير ... دير سمالو مسقط الطير

وقال ايضاً فيه :

الدير دير سمالو للهوى وطر ... بكّرْ فان نجاح الحاجة البكر
اما ترى الغيم ممدودًا سرادقه ... على الرياض ودمع المزن يُنتثر
والدير في لُبْس ثتى مناكبه ... كأنما نشرت في افقه الخبر
تألفت حوله الغدران لامعة ... كما تألف في افنائه الزهر
اما ترى الهيكل المنصور في صُوَر ... من الدُمى بينها في أنسه صُوَرُ»[6]

---

١) اخبار فطاركة المشرق ٩٣-٩٢
٢) طبعة اروبة ١٧٠
٣) من اللاتينية comes
٤) معجم البلدان ٢ : ٦٧٠—٦٧١
٥) تاريخ الرسل والملوك ٣ : ٣٥٤
٦) معجم البلدان ٢ : ٦٧٠—٦٧١

والشماسية التي كان الدير في رَقَّتها — اي في البستان المقابل للتاج من دار الخلافة قديماً — منسوبة الى بعض شماسي النصارى وهي مجاورة لدار الروم التي في اعلى مدينة بغداد[1].

وذكر الشابشتي هذا الدير فقال :

« هذا الدير شرقي بغداد بباب الشماسية على نهر المهدي وهناك ارحية للماء وحوله بساتين واشجار ونخل. والموضع نَزِه حسن العمارة آهل بمن يطرقه وبمن فيه من رهبانه. وعيد النصح ببغداد فيه منظر عجيب لانه لا يبقى نصراني الا حضره وتقرب فيه . ولا احد من اهل الطرب واللهو من المسلمين الا قصده للتنزه فيه. وهو احد متنزهات بغداد المشهورة ومواطن القصف المذكورة . ولمحمد بن عبد الملك الهاشمي فيه :

ورُبَّ يوم في سمالو تم لي	فيه السرور وغُيِّبت احزانه
واخٍ يشوب حديثه بحلاوة	تلتذ رجع حديثه ندمانه
جعل الرحيق من المدام شرابه	والمحسنات من الاوانس شانه
بكرت علي به الزيارة فاغتدى	طرباً الي ومرني اتيانه
فامرت ساقينا وقلت له اسقنا	قد حان وقت شرابنا واوانه
فتلاعبت بعقولنا نَشواته	وتوقدت بخدودنا نيرانه
حتى حسبت لنا البساط سفينة	والدير ترقص حولنا حيطانه

ولخالد الكاتب فيه :

يا منزل القصف في سمالو	سالي عن طيبك انتقال
واهاً لايامك الخوالي	والعيش صاف جا زلال
تلك حياة النفوس حقاً	وكل ما دونها محال[2]

واقتصر العمري في كتابه مسالك الابصار على نقل ما رواه الشابشتي ولم يزد عليه حرفاً. فهل لم يكن لديه كتاب الديارات للاصبهاني وديارات الخالديين ام لم يرد ذكر لدير سمالو في هذين الكتابين. ولعل ضياعهما سبق زمان العمري ولذلك لم يرد ذكر لهما في مسالك الابصار .

وغاية ما يستفاد من اشعار الشعراء في دير سمالو انه كان كثير الرهبان . وهو ما يدل على اتساع مُقتنياته ووفرة المنتسبين اليها. وقد امتاز ايضاً بفنى الدمى التي فيه وجمالها اي صُوَره البيزنطية. وهي كانت وتتنذر حلية كل كنيسة وديرٍ وموضع اعجاب كل الزوار والاضياف . وليس في بقية اوصاف الشعراء الا

١) معجم البلدان ٣ : ٢١٧

٢) كتاب الديارات نسخة خزانة برلين رقم ٨٣٢١ الورقة ٤—٥

نعوت الخمر والحث على القصف والسكر . ومع ما يتولى سامعها من الأنفة والانقباض لخلاعتها احياناً وتكرارها على وتيرة واحدة لا يسعه الا الرضى والسكوت لانه لولاها لجهل كثيراً من اسماء الديارات واخبارها ومواقعها لضياع كل الآثار النصرانية عنها وذهابها طعمة للنار في الفتن والثورات التي كانت تبتلك كثيراً حرمة البيع والاديار وتبدد ما فيها بايدي السلب والنهب والتعصب الاخرق .

وكان في الرقة نفسها التي قام فيها دير سمالو دير آخر دعاه الشابشتي دير « درمالس » بالدال والراء واللام وعنه نقل ياقوت . ورواه السري في مسالك الابصار « دومالس » بالدال والواو وكلاهما تصحيف لانه لا يعرف قديس شرقي بهذا الاسم بين قديسي الفِرَق النصرانية الثلاث . والصحيح « رومانس » كما نبهنا عليه في كتابنا « الديارات النصرانية في الاسلام »[1] وهو اسم احد شهداء النصرانية في القرن الثالث (saint Romain) واسم اربعة من قياصرة الروم ايضاً بين القرنين العاشر والحادي عشر . وكان معروفاً في الشرق المسيحي .

ويستدل من هذا الاسم وجوار الدير للشماسية ولدار الروم ان دير رومانس كان للملكيين مثل دير سمالو . وقد اقتصر ياقوت والسري على حكاية ما وصفه به الشابشتي في كتاب الديارات نسخة برلين وهو قوله :

« هذا الدير في رقة باب الشماسية ببغداد قرب الدار التي بناها الديلمي احمد بن بويه بباب الشماسية . وموقعه احسن موقع وهو نزه كثير البساتين والاشجار وبقربه اجمة قصب . وهو كبير آهل برهبانه وقسانه والمتبتلين فيه[2] وهو من البلدان المسورة بالقصف والمقصودة بالتنزه والشرب » .

واعياد النصارى ببغداد مقسومة على ديارات معروفة . منها اعياد الصوم فالاحد الاول منه عيد دير العاصية وهو على ميل من سمالو . والاحد الثاني دير الزوبقية . والاحد الثالث دير الزندورد . والاحد الرابع دير رومانس هذا وعيده احسن عيد تجتمع نصارى بغداد اليه ولا يبقى احد ممن يحب اللهو والخلاعة الا تبعهم . ويقيم الناس فيه الايام ويطرقونه في غير الاعياد . ولابي عبدالله بن حمدون فيه :

١) ص ٤٤

٢) ورد مثل هذا الوصف بلفظه في الكلام على دير سمالو .

يا دير رومانس ما احسنك ويا غزال الدير ما افتنك
لئن سكنت الدير يا سيدي فان في جوف الحشا سكنك
ويحك يا قلب اما تنتهي عن شدة الوجد بمن احزنك
ارفق به بالله يا سيدي فانه من عينيه مكّنك

وكان من خبر هذا الشعر ما ذكره احمد بن خالد الصريفيني قال :

« كنا عند ابي عبدالله بن حمدون في الوقت الذي نقاه فيه المتوكل فتذاكرنا الديارات وطيبها وحسنها في الاعياد واجتماع الناس اليها . فقال قد والله شهّيتني حضور هذه المواضع والتفرج فيها والتسلي بها . فاي دير حضر عيده ؟ قلت دير رومانس وغدا عيده . قال فعلى بركة الله . فاعددت جميع ما يحتاج اليه ويصلح له . وبكّرنا الى الدير ونظرنا الى اجتماع الناس وتعييدهم وانصرف من انصرف وأقمت معه في الدير ذلك اليوم ومن غده . وجلسنا له مجلساً يشرف على تلك البساتين والمزارع فشرب وطابت نفسه وحضره من احداث الموضع من كان يقضي لنا الحاجة ويجيئنا بالطرفة والتحية[1] . فشغف جم واستطاب وقته معهم وقال الابيات »[2] .

ولهذا الوصف الصادق اشباه وامثال عديدة لما كان يجري في الاعياد المسيحية في ديار الاسلام من الغرائب والمحارم لاختلاط الغرباء بالمعيّدين من الرجال والنساء . وإقبال « كل من يحب اللهو والخلاعة » كما سبق من لفظ الشابشتي على المشاركة فيها وانتهاز كل فرصة تسنح للمغازلة والمداعبة دون اقل مبالاة بحرج الوقت وحرمة المكان : ولم يكن في وسع ارباب الاديار صيانة محافلهم ومعابدهم من مثل هذا الاخراق والابتذال لان الشرع فيما زعموا كان اوجب عليهم تلقّي كل عابر سبيل وضيافة كل طارق ثلاثة ايام دون ان يكون لهم اقل حق بصيانة منازلهم من العامة وذوي الريبة . فكانت ابواب الكنائس والديارات مع ما يلحقها من الحانات المنشأة لبيع الخمور والدور المعدة للإنزال والضيافة مفتوحة نهارًا وليلًا يدخلها من شاء البقاء . والتسلي او رام التنزه ومعاقرة الشراب على نغمات الاوتار . فكانت خلوات الزهاد والعباد بفضل حكم الشرع اشبه ببيوت الريبة تُقترَف فيها ضروب المنكرات وراء جدران القلّيات وحُجَر الصلاة والصيام . ولا يخفى على احد ما كان يلحق المتبتّلين والزهبان من

١) يراد هنا بالتحية طاقة الازهار والورود التي كانت تهدى لمن اريد تحيته وملاطفته . طالع الفصل المعقود عليها في كتابنا الديارات النصرانية في الاسلام ص ٤٤-٤٩

٢) ديارات الشابشتي خزانة برلين رقم ٨٣٣١ الورقة الاولى .

اجلها من العار وسوء الظنة ويتأنس بهم من اخطار الفتنة والضلال.

ولم يرد في كتاب الشابشتي اقل ذكر لديري العاصية والزريقية . ويظهر ان كل كتب الديارات كانت خالية منها ايضاً ولذلك سكت عنها ياقوت والعمري . ومن دواعي الاسف ان تُغفَل اخبارهما مع ما كان لهما من الشهرة وعليهما من الإقبال فلا ندري هل كان احدهما ملكياً . وقد سبق ان ولع الناس بديري سمالو وروماني كان عظيماً ولا عجب في ذلك لما هو معروف من غنى الديارات الرومية ببدائع الصور وجلالة الطقوس وأبهة الملابس الكهنوتية وطيب الانغام البيزنطية وهي اذا قيس اليها انغام النساطرة واليعاقبة كانت من اروع الفتن للسامع والناظر .

ومن الغريب انه كان في الجانب الشرقي من بغداد بيعة كبيرة حسنة تدعى دير الروم يستدل من اسمها انها كانت للملكيين ولكن ياقوت صرّح بانها كانت للنسطورية وبجانبها بيعة اخرى لليعقوبية . قال « والاصل في هذا الاسم ان اسرى من الروم قُدِم بهم الى المهدي وأسكنوا داراً في هذا الموقع فسميت بهم وبنيت البيعة هناك وبقي الاسم عليها »[1] . ويصعب علينا اليوم ان نفهم كيف لم يكن فيها بيعة للروم على قرب الجوار وتقدم السكنى . ولعل الايام تكشف لنا بعض الآثار الدفينة المهملة فتجلو ما غمض من وجوه التاريخ الملكي وتتم ما نقص من اخبار الجاثلقة في العراق .

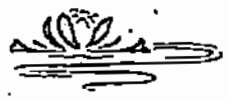

١) معجم البلدان ٣ : ٦٦٢